عالم يغرق ليعيش

اسم الرواية: **عالم يغرق ليعيش**

اسم المؤلف: **حبيبة رحال**

تدقيق لغوي: **هدية علي**

تصميم الغلاف: **ضياء إبراهيم**

تنسيق داخلي: **مينا تادرس**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٢٥٦**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٣٦**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

حبيبة رحال

عالم يغرق ليعيش

إبهار
للنشر و التوزيع

إهـداء

إلى من أهدتني الحياة وسقتني من منابع الكلمات، وأول من قرأتني وقرأت لي، إلى أمي الحبيبة "لوليز"

إلى داعمي الأول، ورفيق روحي وعقلي، سندي وظهري في كل الأوقات، إلى أبي العزيز

إلى أخوتي الأحباء، المقربين لقلبي: حسام وإبراهيم

إلى من روحي به اكتملت

وقلبي عنده وجد مأواه

إلى من رست عند شاطئه سفني

وبين أصابعه وجدت الوطن

إلى من انتشل عالمي الغارق

وبنى لي وطنًا حانيَا

أهديك فؤادًا باسمك يهتف، ورحًا إلى سمائك تتطلع، وكلمات إلى نظراتك تتشوق

أهديك عالمي...

إلى شريكي ورفيق حياتي

الكاتب والمنظر: محمد سماحة

الميــلاد

لحظات الميلاد دائمًا تغرق الناس بطبقة كبيرة وكثيفة من حلوى البهجة، هذا ما ظنته "سين" عندما رأت الإثارة تمتزج بالأصابع التي تغرف من الكعكة الكبيرة التي اشتراها مدير الإذاعة من متجر "حلوى وحلويات" الشهير احتفالاً بمئوية الميلاد.

عدلت وضع القلنسوة التي تحمي خصلات شعرها الأصفر الطويل من الرطوبة التي تهرب من آباط ذوي الأصابع المثارة.

اتجهت بخطى تدق الأرضية، وتصرخ بالسباب إلى الباب المفتوح ذي اللوحة الضوئية الخضراء التي تشبثت به كعلقة في ذقن حوت أحدب عجوز، تقتات على بقايا قشور الجمبري التي يبصقها، تراقصت الخطوط الذهبية كثعبان بحر يتلوى من أجل إيجاد عشيقة راسمة اسم: "كاندي".

طرقت الباب برقة لا تتناسب وخاتمها الزمردي الكبير، ودخلت ترسم الاصطناع، وتهمس بهدوء:

- انتهيت من التهيئة، سوف نكون على المحاكي في غضون عشر دقائق.

التفتت كاندي بهدوء، وفكرت سين حالما رأت وجهها، لابد أن الإثارة انتقلت من أصابعها لتغمس بشرتها بطبقة لامعة كجلد سمكة ميتة حديثًا.
ابتسمت كاندي وقالت:
- محبوبتي سين، مئوية بهيجة مثمرة.
تراجعت سين مقدار بوصة، لم تنادها كاندي بالمحبوبة أبدًا، لكنها ردت بأدب:
- عذرًا، مئوية بهيجة لكِ أيضًا كاندي.
وأرخت أصابعها عن التابلت "Tablet" الرقيق الذي ارتعب تحت قبضاتها المتشنجة، وأكملت بهدوء:
- هل حصلتِ على جزء من الكعكة؟
هزت كاندي رأسها، وبدت غائبة عن الوعي لبرهة، عيناها تبرقان بشغف غير مفهوم بدا وكأنها حصلت لتوها على برومو "ترقية". عبث الحذاء الذي تنتعله سين في الأرضية الزلقة بانتظار عودة المذيعة اللامعة إلى مياه الواقع.
جاءها صوت صديقتها المنفعل:
- أشكركِ على كل ما فعلته لأجلي.
انحنت قليلًا ثم أكملت:
- أرجو أن نظل صديقتين إلى الأبد.
قالت سين بنفاق ناظرة إلى اللوحة الرمادية التي تعلن درجة حرارة الغرفة التي تصل إلى الثلاثين درجة مئوية:
- طبعًا..

اختبارات الإذاعة، وتذكرت سمكة متحللة رأتها تطفو عندما ذهبت إلى عطلة بائسة مع والديها.

اتجهت كاندي بخطى ثابتة إلى البراد، وصبت لنفسها كوبَ ماء، نظرت إلى نفسها في المرآة الكبيرة التي تبدو كحائط رابع لغرفة انتظارها المترفة، راقبت عينيها الزرقاوين النجمية حيث قامت مؤخرًا بتغيير لون قرنيتها لتحاكي قرنية سين، وقللت من لون أحمر الشفاة وتنهدت برضا.

عبثت سين في الأزرار الوهمية على شاشة التابلت واقترحت:

- هل نذهب الآن؟

هزت كاندي رأسها، واتجهت إلى الباب، اصطدمت بكتف مساعدتها وتمتمت معتذرة، تبعتها سين وهي تعدل وضع البطاقة الرمادية القذرة التي تذكرها بوجه القدر عندما تعطل بها المكوك لتجد أن كاندي "عديمة الهوية" أخذت وظيفة أحلامها بالفعل.

صعدتا إلى الدور الخامس عشر بعد المائة في مصعد كهربائي يرتفع بسرعة خمسة عشر مترًا في الثانية، ثم سارتا في الممر الخالي من الموظفين الذين يحتفلون بالمئوية في الطابق السابع. وعلى السجاد الوردي المصنوع من جلد ظهر الحوت ومطعم بأشكال حقيقية من الصخور البركانية من الأرض القديمة، تبرع بشرائه السيد مدير الإذاعة عقب توليه منصبه بأسبوع معلنًا عن ولائه للمحطة المحاكية. كان حلمًا أن تتحرش قدماك بمثل هذا النوع الفاخر.

في غرفة الظهور التي تقع بنهاية الممر البركاني الوردي دخلت كاندي تتبعها سين، جلست كاندي على الكرسي الزجاجي الأسود الذي كان

يؤلم مؤخرتها كثيرًا في بداية اختبارات الأداء، إلى درجة أنها كانت تجلس ساعتين في حمام ماء تختلط به دماء القروش التي تسبح في التيارات المنخفضة مما يسبب لها رائحة كريهة، لكن آلامها كانت تذوب مع كريات القرش البيضاء على الفور.

انتظرت حتى توصِّل سين التابلت بجهاز المحاكاة، وتبعتها بعينيها وهي تنحني لتعدل وضع حذائها الجديد الأحمر، ثم اتخذت مجلسًا إلى جوارها، ابتسمت كاندي وضغطت زر البداية الأسود.

جاءها صوت آلي دافئ يقول: "البداية بعد واحد حقيقي، اثنان حقيقي، ثلاثة حقيقي، ابدأ.."

خرج صوت سين نقيًا، ومتحمسًا، وهتفت: "أعزائي، عزيزاتي، مئوية بهيجة ومثمرة لكل أهالي العالم الجديد. نرجو لكم احتفالية رائعة، وقضاء أيسر الأوقات، لا تنسوا مهرجان مخبز "حلوى وحلويات" الذي يقدم لكم مفاجأة سارة في الساعة السابعة من مساء اليوم. ليحيا العالم الجديد ويحيا مريديه، ولنأمل معًا أن يتحسن الحال لأهل الأرض القديمة، والآن إلى صديقتي كاندي التي تشرف بتقديم كلمة الاحتفالية.."

انطلقت الموسيقى الرسمية التي استغرقت خمس دقائق، وعشر ثوانٍ، وخمسة وثلاثين فيمتو ثانية، وضعها الموسيقار الشهير شالومان الذي أصيب بمرض نوستاليجا أرضية وغادر العالم الجديد لينحدر إلى الأرض القديمة، ولم يعد أحد يسمع عنه أو منه شيئًا منذ ذلك الحين.

هذه السيمفونية تذكر كاندي برائحة عمها؛ لأنها في أحد الأيام، كانت تنام في غرفة تخزين الطعام، وعندما دخل عمها استيقظت على هذه التهويدة الجميلة، ورائحة حساء الخبز الأحمر الذي كان يقدمه لمريدي مطعم العاصمة.

انتظرت كاندي بصمت متوتر نهاية السيمفونية التي اختتمها شالومان بـ"رو" طويلة من الجيتار الكهربي، تبعتها طرقتين من عصا الدرامز المرنة، هل كانت خاتمة سيمفونيته رسالة مشفرة لبداية ظهور أعراض المرض؟

نظرت إلى سين التي هزت رأسها مبتسمة لجمهور لا تشاهدانه، بينما هو يلاحظ أدق تفاصيلهما.

انطلق صوت كاندي الشجي:

- مئوية بهيجة.. أبدأ بهجتي بإعلاني القصة التي نعرفها كلنا، تلك القصة التي حفظناها عن ظهور قلوبنا؛ حتى صارت كالماء الذي نعيش فيه، وزيت الحوت الذي رضعناه مع ألبان أمهاتنا ونحن في المهد.

قصة إيجاد أتلانتس؛ المدينة الغارقة التي عثر عليها المستكشف العظيم ساليم أبرهة عندما أراد الهرب من الدمار الذي اجتاح الأرض القديمة في سبعينيات الألفية الخامسة عشرة..

بعد بحث دام عشرين عامًا..

بعد طول انتظار..

بعد صبر بعدد القشريات التي تغطي أسراب سمك المارلين مجتمعة، أعلن ساليم:

"ها هي أتلانتس، إنها مدينة تختنق، وتحتاج إلى قبلة الحياة الأولى."

وكانت مقولته هي خالقة العالم الجديد.."

عرضت صور متتابعة لبقايا مدينة متحللة قديمة، ولرجل قصير القامة، أشيب الرأس أقرعه، يرتدي ورقًا مقوى يغطي عورته، ويمسك بيده اليمنى صنارة صيد آخرها قناع أكسجين، وبيسراه يقبض على شيء ما قطع من الصورة الرئيسة التي التقطت له.

تنهدت كاندي مبتسمة، ونظرت إلى الضوء الأحمر المثير للنعاس الذي يخرج من كوة في الحائط المقابل لها، وانتظرت..

* * * *

وقفت تتسلى بتقشير عذاب الانتظار، بقرمشة الجندوفلي المجفف المصنوع بصلصة طحالب البحر المعدلة آليًا، كانت تنزع الصدفات ببطء شديد، وكأنها تتبع يدي والدها عندما يخلط حمض الكبريتيك المركز على الصخور الجوفية البحرية لإيجاد شيء ما، أو عندما يحاول مساعده العالِم "عائد" أن يستخلص الفسفور من بقايا صخور متكلسة.

قال لها إنهما سيتقابلان الساعة الخامسة والثلاثين، وها هي الساعة الآن السابعة والثلاثين ولم يظهر له أثر.. "وكأنه عاد إلى الأرض القديمة" هذا ما فكرت فيه. تلك المقولة التي ماتت منذ سنتين وظهرت مكانها، يااه! سقطت إحدى فلقتي الصدفة من يدها سهوًا؛ فانحنت بسرعة لترفعها عن الأرض قبل أن تُكتب لها مخالفة بيئية، وبينما هي ترفعها اصطدم شيء ما برأسها، ترنحت هنيهة ثم رفعت رأسها.. كان صبيًا ينتعل العجل الكهربي ويجري بسرعة، توقف الولد وعاد إلى حيث وقفت، رفع خنصره الصغير واضعًا إياه على رقبته معتذرًا قال:

- يا آنسة أنا آسف جدًا، لم أرَكِ.. هل أنتِ جيدة؟

هزت رأسها مبتسمة:

- في أحسن حال، شكرًا. في المرة القادمة كُن منتبهًا.

ابتسم ليكشف عن أسنان بيضاء مثلمة كأسنان قرش، لابُد أنه من المقاطعة العاشرة لأن أهلها فقط هم من يثلمون أسنانهم، ويرفعون خناصرهم إلى رقابهم للاعتذار، همهم: إذا كنت تشعرين بأي آلام... بحث داخل جيب معطفه المضيء، وأكمل: فإن أمي قد زودتني ببخاخ الآلام، إنه خالٍ من الباستريسن إذا كنت تتحسسين منه.

ابتسمت لظرفه، وربتت على رأسه الحليق سوى من خط أسود طويل يبدأ من منتصف جبهته حتى قفاه الأحمر، همست: حقًا أنا جيدة، لا داع للقلق صغيري.. هنئ والدتك بالمئوية الجديدة.

قال وهو ينطلق: حاضر، مئوية بهيجة لكِ أيضًا..

فكرت أنه ظريف جدًا، إذا قدر لها أن تنجب ابنًا تريده أن يكون بهذا الاحتراس وهذه الرقة، لكنها قطعًا لن تحلق رأسه بهذه الطريقة القديمة التي لا تليق بأهل العاصمة.

أتاها صوت خفيف كدوامة مائية لطيفة، يصدر من السوار الذي تضعه في معصمها: "خمس قطع نقدية؛ بسبب انتهاك قانون الحماية البيئية.."

آه تبًا! لقد نسيَت أن تزيل الصدفة الساقطة منها عندما اصطدم بها الصبي.. الآن ستدفع نقودًا أيضًا، لتقل وداعًا إذًا للذهاب إلى "حلوى وحلويات" اليوم فليس معها سوى تسع قطع نقدية فقط، وها هي ستتخلى عن ٦٠٪ منها، لن يتبقى لها سوى أن تحفظ ماء جسدها أمام "رامي" هذا إن جاء.

انحنت بسرعة لتأخذ الصدفة وألقتها في إحدى ممرات القمامة التي يمتلئ بها الميدان، وألقت بالنقود المطلوبة في آلة بجوار الممر، ووضعت سوارها في الشاشة الصغيرة، فأجاب الصوت: "تم دفع الغرامة، شكرًا لتعاونكم."

قررت أن رامي لعين كسمكة السيف، وأنها مخطئة عندما أجابته إلى طلبه بأن يخرج وإياها يوم المئوية، كانت تجلس في الصف تشرب عصير فواكه البحر المملح، وتجادل صديقتها حول أخيها الجديد الذي انضم إلى العائلة مؤخرًا، وحصل على نتيجة الاختبار من المعمل الرئيس.. عندما اقترب الشاب الطويل لاعب الكرة الطائرة ليسألها الخروج معًا يوم المئوية، نظرت إليه فاغرة فاها كضفدع مصاب بالزكام، ونظرت إلى صديقتها "والي" التي هزت رأسها بإثارة داعية إياها للموافقة على طلبه.

"والي الغبية، ما كان يجب أن آتي، لكنها ستكون قمة الوقاحة أن يحضر فلا يراني أنتظر، لكن ما ذنبي أن أنتظره أنا؟" فكرت الشابة وهي تتخذ خطواتها الأولى في طريق خرق كل حصص "قواعد الأدب، والتعامل العالمي الجديد"، التي بُح صوت أستاذهم معلمًا إياهم قواعد التصرف الراقي في السنة السابعة.

مشت "جميلا" مخترقة الحشود الصارخة بإثارة، التي تتبادل التهنئة وكعك الميلاد الحلو.

وقفت في الميدان الرئيس بانتظار عربة توصيل تقلها إلى منزلها، كان جهاز المحاكاة في منتصف الميدان يعرض برنامج "أخبار العصاري الثالثة"، حيث جلست كاندي برداء طويل من جلد الفقمة مصنوع في

المقاطعة الخامسة عشرة، موضة العام الفائت، وتنتعل شرابًا طويلًا من الجلد نفسه، بدت أنيقة وجذابة، كان من الممكن رؤيتها من كل الاتجاهات، فحيثما ذهبت يعرض المحاكي أدق تفاصيل مذيعات الأخبار الجذابات.

تذكرت جميلا مذيعة القناة الأولى التي انقطع ثوبها دون أن تشعر، وظل الرجال يحدقون في ملابسها الداخلية المصنوعة من قشور السمك الرخيصة، استقالت المذيعة بعد ذلك بيوم واحد، واتجهت إلى ممارسة المحاماة للدفاع عن حقوق البشر على الأرض، ولم يعد أحد يهتم بما تقوله أو تفعله، يكفي أنها كانت ترتدي ملابس داخلية رخيصة، قال الجميع حينها: "لتتصدق بقشورها الميتة على فقراء الأرض" ومن ثم صارت هذه المقولة مثلاً يُضرب لمن تهاتفه نفسه بالتفكير في رعايا الأرض القديمة.

فكرت ميلا في نفسها: "يا لها من مهزلة.. مسكينة "إيف"."

كانت كاندي تتحدث عن أتلانتس، وكيف وضع ساليم المدينة الغارقة داخل قناع من الأكسجين واختبأ فيها مدة عام كامل، ثم مات متأثرًا بمرض الملوحة العالية.

تأففت جميلا.. "تكفي هذه القصة، لقد صدعوا رؤوسهم بها، ما الذي تمثله أتلانتس المتحللة إلى جوار العالم الجديد الغارق تحت قيعان المحيطات؟ لا شيء.. مجرد صخرة على أرض، أو رملة على شاطئ صناعي."

استمرت كاندي تتحدث وتتحدث وكأنها لن تسكت أبدًا، لم تأت أية عربة من عربات التوصيل، فكرت أن تؤجر مكوكًا من أقرب فرع، أو تستدعي واحدًا، وعندما سمعت اسم والدها رفعت رأسها..

كانت كاندي تقول بفخر وكأنها الابنة: "أيضًا ولن ننسى أبدًا جهود العالِم الجليل "فرح" الذي أسهم في تطوير الجنة المثالية التي نعيش داخلها، حيث أدت آخر اختراعاته إلى تسهيل عملية التحلل السريع للصخور الأرضية؛ مما أدى إلى اتساع الرقعة التي يقع فيها عالمنا بنسبة ١٨ , ٠٪، وهي المنطقة الألفية الجديدة، التي سيتم الإعلان عن انضمامها إلى عالمنا المتطور قريبًا، وكذلك أيضًا مساعداته الجليلة في تخفيف الإصابة بمرض الملوحة العالية، وخاصة لمن يعملون في الاستكشاف عن طريق اختراعه جهاز a.3 الذي يتكون من..."

ميـــــــــلا.. ميـــــــلا..

"ها قد جاء سمكة السيف الأخرق."

انتبهت "جميلا" إلى الشاب الطويل الذي يجري على قدميه كرجل أرضي بدائي، التفتت إليه بغضب مكبوت.

اقترب مسافة متر، وقال:

- ميلا أنا آسف جدًا، هناك أزمة مرورية بسبب الاحتفال، تعطل المكوك فتركته في منتصف الطريق، وجئتك راكضًا..

قالت بصوت عالٍ يطغى على ضحكات الحشود:

- كدت أغادر..

اقترب منها خطوة، عيناه بلون البحر في نهاية العام، زرقاء وغامضة بجنون، أو ربما هو من الذين يحبون إجراء العمليات لتغيير لون أعينهم.. لا تدري، ربما ستسأله لاحقًا، وربما لا..

اقترح:

- هل نذهب إلى مخبز "حلوى وحلويات"؟

كلا لن تفقد ماء جسدها أمامه، وتكشف له أن ما معها من نقود لا يكفي حتى لقضمة من فطيرة التفاح الأخضر المجانية..

اعترضت:

- سيكون مزدحمًا للغاية.

أمسك بكيس يتحلل بالماء، وأخرج منه علبتي عصير قال لها:

- أحضرت لكِ عصير فواكه البحر، أعرف أنكِ تحبينه..

ابتسم لتظهر قشرة اللؤلؤ التي رصع بها نابه المثلوم..

إذا كان يظن أنه بهذا سيثيرها! ها... لقد نجح فقط في إثارة عصبيتها لا أكثر، إنها عطشى بسبب الجندوفلي..

قاطع أفكارها:

- لنذهب إلى مطعم " البحر" إنهم يقدمون الحساء، والماء بالمجان.

آه الآن هذا ما نتكلم عنه، وافقت بسرعة.

مشى إلى جوارها ببطء كممثل يظهر على المحاكي، نظر إليها وقال بصدق:

- ميلا، أنا سعيد بأنك وافقتِ على الخروج معي اليوم.

رمشت عينيها بطريقة أعجبته للغاية، ولاحظ احمرار وجهها كسمكة شص لطيفة، ولذيذة.

فكرت جميلا: "ربما رامي ليس سيئًا كدفع غرامة ليلة الميلاد المئوية."

لم يكن المطعم مزدحمًا على الرغم من أنها ليلة احتفال، من يمكن أن يذهب إلى مكان يحاكي في هدوئه الريف البحري غير المعتوه كطحلب جاف، أو المفلس إلا من أربعة قطع نقدية، أو العاشق الذي يرغب بإرضاء حبيبته تمهيدًا ليطلب منها إرضاء رغباته الدفينة!

جلسا إلى كراسٍ زجاجية سوداء، اختارت جميلا أن تكون في مواجهة الحوض الزجاجي الكبير الذي يعرض فيه صاحب المطعم حيوانًا محنطًا ضخمًا عندما جاءت مع والدها وعائد إلى المطعم يومًا للعشاء لأن آلة صنع الطعام كانت تصنع طعامًا لا يليق حتى بأهل الأرض القديمة، استقبلهم صاحب المكان النحيف كثعبان بحر مصاب بتسمم بترولي، وأخبرهم بتفاخر رافعًا حاجبه إلى أعلى أن أخاه اصطاد هذا الحيوان وقام بتحنيطه من نهر أرضي حقيقي في أثناء إحدى زياراته العسكرية السرية إلى الأعالي، وأنه دفع في سبيل جلبه إلى الأسفل مبلغًا كبيرًا يصل إلى ألف قطعة نقدية.. حينها اقترب عائد من الحوض الزجاجي، وسأل المتفاخر عن اسم الكائن، لكنها نست اسمه بالفعل إذ أخذت -دون إرادة- تحدق في أكتاف عائد وهي تتحرك بخفة متفحصة الزجاج، بينما أصابعه الطويلة الرشيقة كانت تمسح حواف الطاولة التي يجلسان عليها كما لو كان يهدهد سمكته الشصية الأليفة.

اختار رامي أن يحصل اليوم على رؤية تفصيلية لوجهها الخلاب، وبشرتها الناعمة وكأنها دهنت حديثًا بدهن الفقمة الناعم، ورائحتها الجذابة التي تنبعث من شعرها الطويل الغزير المترك بإهمال على كتفيها الضيقة. انحنى إلى الأمام متظاهرًا بدق الجرس لطلب الحساء والماء،

بينما حصل على نفحة جديدة من رائحتها اللذيذة، واستطاع أن يثبت أن بشرتها خالية من دهون الفقمة، وأنها طبيعية تمامًا.. كانت تحدق إلى الحيوان القبيح خلفه، فالتفت إلى الخلف لبرهة ثم اعتدل مبرزًا لؤلؤته وسألها:

- هل أنتِ مهتمة حقًا بهذا المساح النهري؟

لمعت عينا جميلا، تمساح، كان اسم الكائن تمساح، ابتسمت وقالت:

- لست مهتمة..

مهلًا! هل كانت أصابع عائد في ذلك اليوم بنفسجية اللون؟

سألته:

- لماذا اخترتني بالذات؟

وصل الماء والحساء يقدمه ولد بابتسامة لطيفة، كان من السهل أن تقول إنه ابن صاحب المطعم بسبب نحافته الواضحة.

ارتشفت من نهر النعيم بعمق، ولعقت شفتيها متلذذة بطعم الحساء، كان مصنوعًا من لحم السمك المقدد وصلصة الأنشوجة المعتقة، وبهار يستخلص من الأعشاب المرجانية.

تفادى الإجابة بمهارة، لقد بدت له وكأنها من ذلك النوع من الفتيات اللاتي يرغب في صحبتهن إلى الأبد؛ لأنها على الأقل عصرية، وستجيبه إلى طلبه، يأمل في ذلك.

رشف من الحساء الحار، لم يعجب بطعمه، بدا له حريفًا بدرجة كبيرة، سألها:

- ما معنى اسمك؟

رفعت رأسها بدهشة، مهلًا، لماذا لم يجب على سؤالها؟ ماذا كان السؤال؟ على أي حال:

- اسمي عربي قديم يعني حلوة، أو "beauty"

عادت لارتشاف الحساء.

قرب كرسيه إلى الطاولة، وتظاهر بالاستمتاع كما كان يفعل عندما يراها تراقب تدريبات فريقه في منتصف الحصص.

الفتاة الحلوة التي كانت تجلس مستندة إلى عمود الإضاءة وتراقبهم، قال صديقه إنها كالنائمة مفتوحة العينين، وقال مدربه أنها ابنة العالم "فرح"، بينما علق آخر بأن لها صدرًا جميلاً كممثلة تظهر على المحاكي، قبل أن يتلقى ضربة بالكرة على رأسه أرسلها إليه ليخرس.

ظل لأسبوع كامل، مضى كدهر بالنسبة إليه، يسأل إن كانت تنظر إليه، أم أنها تراقب شخصًا آخر؟ كان يتبعها عن طريق "GPS" ووجد أنها تعود إلى منزلها برفقة صديقاتها فقط، على الرغم من أنه ليس عملاُ شريفًا أن تتلصص على أحد، لكنها لم تكن أحدًا بالنسبة إليه، إنما المستقبل الذي يطمح إلى الوصول إليه، مستقبل ذهبي كلؤلؤة نادرة انفصلت عن قوقعها الذي لم يعد يتسع لحجمها الضخم، وليست مثل تلك المزيفة التي اشتراها خصيصًا من أجلها.

كان حساؤه قد انتهى، خفض رأسه لينظر إلى أصابع يديها.

تدق جميلا على الخشب المدهون بالمعجون الأسود نغمة لطيفة تنبعث من عقلها سمعتها يومًا في المعمل حيث يقف والدها بالساعات وتذكرتها

للتو، هل من الممكن أن يكون الخروج في موعد مع شاب يوم الاحتفال بهذا السوء؟

تسرب الملل عميقًا إلى محيطاتها كشاحنة تفرغ حمولتها من البنزين على رأس سلحفاة بحرية مسالمة، فلا تستطيع العوم مبتعدة.

المطعم شبه خالٍ سوى من كراسيه الزجاجية السوداء وتمساحه القبيح، وزوجين يضحكان بصوت منخفض كما لو كانا يطلقان النكات بشأن كاندي التي تظهر على المحاكي الصغير أمامهما.

سألها إن كانت تمارس نشاطًا معينًا في المدرسة..

هل تعد قراءة القصص باستخدام جهاز الأذن والعين "O.Y" نشاطًا مدرسيًا؟ أجابته:

- كنت مشتركة في مسابقات السباحة التتابعية.

أما هو فكما أخبرتها والي، يلعب الطائرة.. آه إنه في المكان الذي تحب أن تندمج إلى عالم الأحلام فيه، هل كان يراها جالسة مستندة إلى عمود الإضاءة؟ ترجو ألا يكون..

بدت ضجرة كعالِم أنهى لتوه تجربة حياته، ويفكر في الموت، أو ككاتب وضع علامة "#" في جهازه الآلي O.Y

لم يبدُ صوت كاندي سيئًا بالمرة وهي تحكي عن نظام استخلاص الأكسجين من مياه المحيط من أجل تزويد العالم الجديد القابع في المحيطات بالكمية المناسبة من الهواء، وأن الحوائط المبنية من معدن الجاكرز الزجاجي الشفاف القوي غير القابل للتلف أو الكسر يسمح بإبقاء الحياة تحت الماء مناسبة للعيش لفترات طويلة... موسيقى ناعمة

تنبعث من عقلها توازي حكايا كاندي المتكررة، وتطغى على صوت رامي الذي يستعرض إنجازات فريقه..

"يُجرى الآن تعديل الحوائط بحيث يتم تشديد نظام الحماية الآلي منعًا لتسرب عناصر غير مرغوب فيها إلى عالمنا الجديد. من الجدير بالذكر القول إن نظام العقوبات قد تم تطبيقه بصرامة على من يحاول الدخول إلى أو الخروج من العالم الجديد دون الحصول على الترخيص اللازم من مكتب البلدية التابع له..."

أكمل قائلًا: "لذا ترين أن الحصول على لقب "فريق العاصمة" ليس سهلاً على الإطلاق؛ لذا سنبذل الجهد ونكون في مركز.."

لا، لاألم لم...

أصابع بنفسجية تمسد جسد الكائن المحنط الأرضي و..

"لذا سيكون من الضروري لمن يتم اختياره للعيش في العالم الجديد أن يخضع للاختبارات، ومن ثم يتم الموافقة على الحصول على طلبه بالعيش معنا بعد أن يحصل على رقم الاختبار المناسب، ثم..."

لوهلة بدا صوت كاندي غريبًا، كأنها على وشك البكاء... لا لا.

أضاف قائلًا: "اخترت العيش في العاصمة لفترة، لكنني سأعود إلى مقاطعتي التي ولدت فيها إنها تمتاز بالدفء.."

رفعت خصلات شعرها بعنف، فأمسك بيدها.. اندهشت، قال:

- اتركيه..

أنزل يدها وأبقاها بين أصابعه، كانت دافئة وعميقة واعدة إياها بحياة أخرى، ربما لا تعرفها، لكنها تتوق إليها.. تجربة جديدة تمامًا...

سألته بهدوء:

- لماذا اخترتني؟

أمسك بإصبعها السبابة، ومرر بطوله شفتيه، وهمس:

- أريدك لي، أريدك أن تظلي عذراء إلى أن نتزوج..

* * * *

ولأن عائد يكره الطعام البحري لسبب في نفسه لا يعلمه فرح، لذا أعد له العالم طعامًا أرسل من الأرض خصيصًا، لحم دجاج أحمر مهجن، بيضة نعامة مقلية، وترك الخضراوات ليعدها عائد بنفسه عندما يأتي.

سمع هزات الجرس التي تشبه صوت قطرات الماء تنبعث من الصالة، علم أن عائد وصل؛ إذ من المستحيل أن تصل ابنته التي خرجت في موعد مع صديقها الآن، إنه يأمل فقط أن تكون منتبهة إلى تناول عقار "N.B" حتى لا تصاب بالتهابات تناسلية، هذا إن فكرت أن تقضي الليل معه، وألا تفرط في تناول كعك الدقيق الحار بصوص الفريز حتى لا تصاب بالحمى في المساء.

جاء مساعده الشاب وهتف:

- ياه! الرائحة لذيذة للغاية.

ابتسم فرح وقال وهو يمسح يده من الدقيق:

- أعددت الطعام الذي تحبه.

انحنى عائد على نفسه وكأنه يرغب في أن يختفي داخل ملابسه، حيث ضم كتفيه معًا وأدخل يديه في جيوب بنطاله، وهي لغته الجسدية التي يعبر بها عن تقديره العميق الممزوج بالخجل:

- أستاذي، أتعبتك.. شكرًا.

ضربه الرجل المسن على كتفه مازحًا، وأخبره بأنه قد ترك له الخضروات ليعدُّها بطريقته الخاصة، أسرع الشاب بارتداء قفازات الطهي، ووقف أمام الطماطم، والبقدونس، والشيم الأسود الحار المستخلص من نبات الفلفل والباذنجان، وأمسك آلة التقطيع الإلكترونية.

كان فرح يتحدث عن بهجة الاحتفالات، وكيف أن بلدية العاصمة قررت أن تجعل الجو مطيرًا في المساء، وسيكون المطر أحمر اللون ليتماشى مع المهرجان المزمع عقده.

اقترب من مساعده الذي يقطع خضرواته بأصابع فنان متوتر، ثم قال:

- واو! إن تقطيعك لمذهل! هاه هذا مشبك سُرة ابنتي الصغيرة الغبية، نسِيَت أن تضعه في أثناء ذهابها في موعدها الأول، لقد اشتريتُه خصيصًا لها لتحضر به احتفالات المئوية.. إنه مصنوع من قشر.. عائد هل أنت بخير؟ إنك تنزف بقوة.

وضع عائد إصبعه في فمه ليوقف النزيف الذي لحقه وهو يضع الشيم في الآلة، نهره فرح حتى لا يصاب بعدوى تسمم الدم وخاصة إن كان قد استعمل موادًا فسفوريةً مشعةً في المعمل.

أكمل وهو يبحث في أدراج المطبخ عن بخاخ الألم:

- تبًا إنك كطفل تمامًا، انتبه لنفسك يا فتى.

تحركت شفتا عائد بتوتر وكأنه يبتسم من بطنه:

- أنا آسف، لم أنتبه إلى أن الآلة لا تزال تعمل.

رش بضع زخات على إصبع تلميذه وسأله:

- فيمَ تفكر إذًا؟

"في مشبك السرة الذي تركته ابنتك ربما.." قال وقد شعر بتحسن:

- في التجربة التي اقترحت إجراءها في المرة السابقة.

توترت يدا العالم فرح وهو يقلب شوربة اللحم الأحمر:

- سبق أن قلت لك رأيي، أليس كذلك؟

لا يحب عائد المجادلة لذا أكمل التقطيع بصمت، ثم وقف يراقب التئام جرحه الذي بدا كشفاه جميلا عندما تزمها غاضبة من والدها.

خفف العالم فرح خناقه عن رقبة المغرفة قليلًا، ودعا تلميذه إلى إعداد المائدة، بحث عائد عن أطباق اللحم والبيض متجنبًا النظر إلى مشبك السرة الصغير الراقد بحنان كتمساح مطعم البحر، وضع الطعام بصمت متوتر، ثم نقل الأطباق إلى المائدة المتحركة في الصالة، صب العالم فرح مشروب نجمة البحر المعتق، ناوله كوبًا، فتجرعه دفعة واحدة كأستاذه وانتظر مفعول الاحتراق أن يزول من بطنه.

على يمين العالم اتخذ عائد مقعده.

ضغط فرح زرًا وهميًا في شاشة ساعته، فاشتعل المحاكي لتظهر كاندي، تصنع العالم اللا مبالاة وبدأ يلتهم الطعام، ناظرًا بين الحين والآخر إلى فتاه الوسيم، أو إلى المحاكي.

"بعد الشناعة الخامسة على الأرض القديمة، التي أدت إلى انهيار ما يقرب من ربع مساحة الأرض كسقوط جزء من قارة آسيا وأفريقيا التي انهارت أجزاء من شمالها الغربي، ولم يتبقَ سوى الجزء الجنوبي من أمريكا الشمالية، بينما كل من قارتي أمريكا الجنوبية وأستراليا غرقتا بعد ذوبان جليد أنتراكتيكا بسبب ظاهرة ارتفاع درجة حرارة الأرض...

كان التفكير في العالم الجديد هو الحل، فإذا كانت اليابسة غير مناسبة للعيش، فإن قاع المحيط يمد بطاقة كبيرة، طاقة ضغط المياه التي يمكن من خلالها توليد كهرباء عالية للغاية تساعد الناس في..."

كان العالم متوترًا لذا خرج صوته عاليًا بعض الشيء:

- لماذا لا تزال تفكر في إجراء ذلك الاختبار؟

ابتلع عائد لقمة من بيض النعام وقال:

- إنها مخاطرة أعرف، لكن لم يكن بناء عالم تحت المحيطات سوى مخاطرة أيضًا..

نظر إليه العالم كأب ينصح طفلًا مشاغبًا:

- قد يؤدي هذا إلى إحداث كارثة جديدة.. نحن في غنى....

قاطعه:

- أو قد يتسبب في إحداث تغيير جذري، نحن لا نعلم المستقبل، نحن نعرف العلم، والعلم صديق المستقبل، إنها دائرة أبدية لن نخرج منها.

كوالد حنون أفحمه ابنه الصغير، عاد فرح إلى طبقه وصب اهتمامه على اللحم الأحمر الذي بدا لذيذًا مع بذور الشيم الطازجة.

"لذا يجب أن يخضع كل سكان العالم الجديد إلى اختبارات، ويتم تصنيفهم على أساسها، ويعطون أرقامًا تبدأ من واحد حتى عشرة.."

خرج صوت فرح مبحوحًا وهو يقول:

- إذا نجحت التجربة سيخرج كائنًا خارقًا..

أكمل ملقيًا مزحة:

- لن تستطيع البلدية إعطاءه رقمًا؛ سيكون مختلفًا.

أنهى عائد طبقه وعاد بظهره إلى الوراء وقال:

- أعرف... أليس مذهلًا؟

ثم ابتسم وأضاف:

- أستاذي، من ملامح وجهك الراقي أعلم أنك لا تزال تشك في الأمور.. أنا أيضًا لم أنهِ أبحاثي كافة، سأحتاج إلى وقت أطول.. قد تتمكن خلاله من التفكير بحرية.

"هناك من لا يجوز لهم البقاء داخل العالم الجديد.. من لا يستطيعون الحصول على أرقام اختبار مناسبة يتم نفيهم في الحال..

كما يمكن أن تفقد رقمك إذا خرقت إحدى مواد القانون الآتية:

١- معرفة أنك تسرب معلومات بالغة السرية إلى الأرض القديمة.

٢- العلم بأنك تساعد من لا يستحقون الحصول على رقم اختبار.

٣- الإصابة بمرض نوستاليجـ..."

قام العالم المسن من المائدة، فتطوع عائد بإزالة الأطباق الفارغة، وإعادتها إلى المطبخ حيث تقوم ماكينة الجلي بتنظيفها.

رص الأطباق في الأماكن المخصصة لها في الماكينة.. إنه يعلم أن أستاذه لا يوافق على مشروعه العظيم بعد. ثم الأكواب الشفافة بعد ذلك وضعها على حامل بلاستيكي يخرج من جوفه الماء بالصابون ذي رائحة المرجان الأحمر، ورائحة ثوب جميـلا.. إن هذه التجربة ستكون الأخطر على الإطلاق، إن نجحت كما تنجح تجاربه كلها ستحدث نقلة في العالم الجديد، كالآلة التي تقلب الأطباق لتغسل جوانبها كلها، ربما حينها سيحصل على رقم اختبار "واحد" ويحصل على لقب عالم أخيرًا كما

كان يحلم، هل ستنظر إليه ابنة العالم؟ ولكن إن فشلت وهذا وارد جدًا! ربما يمكنه حينها أن يجرب مرة أخرى، إنه يتخذ من والدته التي كانت مساعدة العالمة الكبيرة "سون" قدوة له، لقد انفجر بالعالمة ومساعدتها المعملُ في أثناء إجراء التجربة الخامسة لقانون خلط الأكسجين بذرات هيدروجينية من أجل الحصول على أعلى نسبة من الطاقة لتوليد كهرباء مائية تسمح بإدارة مدينة كاملة دون إضرار بالبنية التحتية للمنشآت. وقد تمكن هو من النجاح في اختبارات الجامعة بتقديم هذا المشروع الذي استطاع إنجازه بعدما فشلت والدته خمس مرات، وهو مستعد دائمًا للمحاولة حتى لو توقفت آلات الجلى كلها عن العمل.

أعاد الأطباق النظيفة اللامعة إلى مكانها، رتب المطبخ من بقايا دهن اللحوم، وبذور الخضار، نظر إلى مشبك السرة ومرر إصبعه عليه، سمع صوتًا.. "لقد عُدت"

سقط المشبك على الأرضية، انحنى بسرعة وأعاده إلى مكانه، بينما سمع ترحيب العالم بابنته التي عادت من موعدها الأول مع شاب آخر، ليس عالمًا بالتأكيد، أي لا تفوح منه رائحة اليود، ولا يعد أنبوب الاختبار إصبعه السادس، ويضع لؤلؤة في أسنانه العليا، لؤلؤة رخيصة على الأرجح.

تمكن عائد من سماع دقات قلبه تعوي فجأة تمامًا كاليوم الذي رأى جسد والدته الميت يُلقى في منطقة الدفن/ الإطعام الخامسة؛ حيث تراكمت مجموعة من القروش الشيطانية المفترسة، تتزين شفاه إناثها بأحمر دماء الأموات، بالتكالب على جسد والدته الهش الساكن..

"إنك هنا إذًا.." انطلق صوت جميلا عاليًا في المطبخ الفسيح طاغيًا على صوت كاندي الذي ينبعث من المحاكي..

التفت ببطء ونظر خلفها مركزًا بصره بقوة على آلة التبريد، وأجاب بابتسامة:

- مئوية بهيجة ومثمرة، أممم.... كيف كان موعدك؟

اقتربت من آلة التبريد وفتحت بابها، فتحرر الدخان الثلجي من سجنه البارد ليلف جسدها في رقصة تشتاق لنعومة الدفء.. هل تشعر أنامله التي تمسد خصرها بانحنائه الشبيه بخصر عروس بحر فينوسية؟

تجرعت بعض المياه، ذاب الدخان في مسام جسدها وتغطى بدفئه، هتفت:

- كان رهيبًا.

هل يعني ذلك: السالب أم الموجب من الرهابة؟

جذب شيئًا يلمع أنظارها، اتجهت إليه؛ فابتعد عن طريقها خوفًا من مصير الدخان الثلجي نفسه، شغل نفسه بحل معادلة كيميائية لها ناتج وليس بها معطيات، فمثلًا عند تسخين النفط المستخلص من الآبار الجوفية الأرضية، وتنقيته ومن ثم سنحصل على...

آه لقد نسيته، يا لبلاهتي! هتفت وهي تمسك بالمشبك الصغير، وعرضته أمام عينه التي سبق واختطفت منه قبلة قبل أن تضمه أصابعه في عناق. إنه يعرف أنها بلهاء تمامًا، وحتى وهي ترفع القميص الأسود لتبرز سرتها الصغيرة الغارقة كبيت منعزل في ريف بحري هادئ، وتشبك الحلية التي انتقلت القبلة منها إلى... من الأفضل أن يكمل التفكير في المعادلة في

الصالة، حيث البرودة ستكون أفضل بفعل مكيف الهواء، ويمكنه حينها أن يقدم المعطيات الأولية لوالدها من أجل اختباره.

سار بسرعة إلى الخارج حيث تمكن من سماع دقات قلبه تتباطأ، وقف وسأل نفسه: "هل سيسمح لنفسه بالموت الآن؟ ومن ثم يلقى لأماكن الدفن حيث يلقى جسده الرخو وعقله الصلب لقروش شبقة تلتهمه بأسنان تغطيها دماء والدته؟ ثم يتم صيد هذه القروش من أجل إعداد حساء البارو البارد الذي تتلذذ جميـلا بتناوله مع صديقها في موعدهما الثاني؟

مستحيل.. مستحيل..

فكرت جميلا وهي تشبك الحلية ببطنها، إن كان يتجاهلها عمدًا أم ماذا؟ إنه حتى لم ينظر إليها، إنه أحمق كبير وهي تعرف هذا تمامًا، إن قدر لها يومًا أن تفتح عقله ستجد متاهة من المعادلات ومغارة تتدلى منها أنابيب الاختبار، وتبرز المشارط والأشعة من أرضيتها، لكن هذا لا يفسر وقاحته غير المتناهية، مئوية بهيجة.. هذا ما قاله، ومئوية تعيسة عليكَ وعلى أمثالك عدا والدي.

خرجت من المطبخ البارد واتجهت إلى الطابق العلوي حيث غرفتها، ملأت الحوض السيراميكي المخطط بألوان الأصفر والأزرق، وبه بقع من رسومات لشعب مرجانية ثلاثية الأبعاد، بالماء الدافئ وأغرقت جسدها فيه.. إحساس العوم لم تجربه منذ مدة طويلة، المرة الأخيرة كانت عندما ذهبت ووالديها إلى الريف البحري منذ خمسة عشر عامًا، إنها ليست ذكرى مناسبة لاحتفال المئوية.

كان صوت والدها عاليًا مخاطبًا مساعده.. هل أثاره الشاب يا ترى بإحدى تجاربه المجنونة؟ إن والدها معروف بهدوئه فلماذا يصيح الآن؟ ومع ذلك كانت المياه منعشة للغاية، ألا تذكرها بشيء ما؟ ومع ذلك فها هو الشاب البارد الذكي يكاد لا يسمع له صوت على الإطلاق. ترى فيمَ يتجادلان! هل ينظر عائد إلى والدها تلك النظرة الثابتة الزرقاء ويقول.. نعم تذكرت إنها تشعر وكأنها تغطس في ماء عينيه الزرقاء الهادئة، يجب أن تشعر بالخجل إذًا من عريها، ويقول بصوته العميق: "أجل معك حق أستاذي.." وإن لم يكن قد اقتنع تمامًا.

كان العالم فرح يشعر بالضيق من تلميذه، كشوكة مراوغة اخترقت حلقه وهو يتناول الفليه المشوي، أو كناتج غير متوقع في معادلة بسيطة، أو كابنته التي تصر على أنها ترغب في قضاء فترة من الوقت تغرق رأسها بأوهام يصنعها كتاب"O.Y" .. ليس عدلاً أن يكون محاطًا بمجموعة مختلة عقليًا!

لماذا يريد مساعده إجراء هذه التجربة؟ إنها قطعًا خطيرة للغاية، قال بهدوء: "نحتاج متطوعَين؛ رجل وامرأة."

من يمكن أن يفكر في أن يجعل نفسه حقل تجارب لعالم مخبول، لا بل لمساعد مخبول مثله؟

تمالك العالم فرح أعصابه، حاول أن يفكر في شيء يسعده حقًا كزوجته التي كانت تحب مداعبة خصلات شعره المتناثرة فوق رأسه عندما تراه منشغلًا في معمله، وتزلق أنفها الصغير على جانب رقبته وتهمس باسمه... اللعنة لماذا طاوعها وذهبا إلى تلك الرحلة المشؤومة؟ ازداد غضبه بقوة، تفكير معاكس للغاية.

قال صارخًا:

- ومن تظنه سيقبل بالتطوع لهذه التجربة الغبية؟

بهدوء قاتل لم تسمعه جميلا التي كانت في الغرفة المجاورة تبحث عن جهاز القراءة الخاص بها، قال عائد بتصميم:

- أنا مستعد لأقوم بها بنفسي، أحتاج إلى امرأة فقط توافق على...

دخلت جميلا بجلبة تمسك بيدها ما يبدو كنظارة البعد الثالث الضخمة تتصل بها سماعات، وقالت:

- أبي هل رأيت فلاشتي الخضراء؟

قال أبوها، وقد استعاد هدوءه نسبيًا:

- فوق الرف الثالث.

اتجهت إلى حيث دلَّها وأمسكت بالذاكرة الخضراء الصغيرة، دستها في جهازها، سألها عائد:

- هل هذه الذاكرة خاصة بالحكايات؟

نظرت إليه بدهشة... هل يعرف ذلك؟ بالتأكيد إنه كجواب المحيطات السبعة، قالت:

- أجل.

سألها ناظرًا مباشرة في عينيها:

- هل تحبين قراءة الكلاسيكيات؟

هزت رأسها إيجابًا.. أكمل:

- ما رأيك في الكاتب "جونت أسامي"؟

كلا، هذا كثير.. الآن يحاول أن يشجع ابنتي على الغرق أكثر وأكثر في عالمها الوهمي التعس.. فكر فرح شاعرًا بكراهية تنبثق من أعماقه اتجاه مساعده، قال بسرعة:

- حبيبتي.. كيف كان موعدك الأول؟

أجابت ناظرة إلى الأرض:

- رهيب.

عبثت أصابعها في السماعات الضخمة، لم تكن تتوقع أن صاحب رأس المتاهات والمغارات يهتم بالقراءة الحديثة، هل هو يستمع إليها الآن؟ لقد بدا غارقًا في شاشة هاتفه الذكي. تبًا يا أبي لقد قطعت أول حوار حقيقي بيننا.

قال والدها بصرامة:

- أرجو أن تكوني قد اتخذتِ احتياطاتك كافة عزيزتي..

وجهت نظرة إلى والدها، هل توقفت أصابع عائد عن العبث في شاشته؟ لا تعرف لأنها لا تزال تنظر إلى والدها..

قالت بتفاخر:

- أنا عصرية يا أبي.. أتعرف هذا؟

عادت أصابع عائد إلى العبث.. إنه يضع تصميمًا لما يمكن أن يطلق عليه الإنسان المثالي غير القابل للكسر، تمامًا كذلك العالَم الذي يؤويه..

سأل الأب:

- ما الذي يعنيه هذا؟

قالت ناظرة إلى عائد مباشرة:

- يعني أنني ورامي سوف ننتظر الزواج حتى يكون بيننا لقاء حقيقي.

تنهد والدها ارتياحًا، ثم بدا متحفزًا على نحو غريب فجأة.. كلا..
سألت جميلا نفسها لم ارتفع خنصر عائد بتوتر فجأة؟
"...كانت معكم كاندي من برنامج أخبار "العصاري الثالثة" مئوية بهيجة ومثمرة، أرجو أن تستمتعوا بالمهرجانات اليوم.. طابت أوقاتكم وغمرتها مياه السعادة."

* * * *

لا يمكن أن يصبح الجو أكثر برودة مما هو عليه الآن، يقول مسؤلو تغير درجة حرارة المياه إن القاع يكون أبرد مما هو عليه في الواقع في فصل يسمى "الصيف" يجتاح الأرض القديمة ويكون مصحوبًا بأعاصير مثل الدوامات البحرية، غير أنها تكون رملية، لذا تحاول البلدية تعديل درجة حرارة العاصمة عن طريق أجهزة التحكم في الطقس الكهربائية، لكن بمجرد أن يصبح الجو دافئًا تلتهم الدوامات الثلجية القادمة من المحيط الدفء، وترحل متخلية عن أحفادها الصغار كسلاحف بالغة تترك صغارها على الشاطيء بقسوة وترحل.
أحد الأحفاد استقر عميقًا في قاعة الدراسة حيث جلست جميلا وسط جماعة من الفتيات والفتيان الذين يضحكون، بينما أسنانهم تصطك كلما اقترب منهم الحفيد الصغير، كانت معظم حواراتهم تدور حول يوم الاحتفال.. وخاصة المهرجان، وهطول الأمطار الحمراء الباردة.
سألها صديقها "مان":
- ماذا كانت أمنيتكِ يوم الاحتفال جميلا؟

أمنية...

تطوعت والي بنذالة بالرد على لسانها:

- كانت أمنيتي أن أبقى مع رامي إلى الأبد.. أليس هذا ما قلته؟

ضحكت والي بعصبية، بينما فغرت المجموعة فاها؛ لأن أحدًا منهم لم يكن يعرف أنها تواعد رامي، الشاب الأكثر شهرة في المدرسة.

نكزت جميلا أضلع صديقتها بماصة العصير الحديدية المسننة، فصرخت الأخيرة:

- أوتـــش! لما فعلتِ ذلك؟ ثم أضافت بخبث: أم كنتِ تنوين الاحتفاظ به سرًا إلى الأبد؟

قامت جميلا بعصبية من مكانها وقالت:

- مــهما يكن، إنه..

لم تستطع الإكمال.. هل هو صديقها، أم عشيقها، أم حبيبها، أم خاطبها؟

خرجت من القاعة بعصبية ملقية زجاجة العصير في إحدى قنوات القمامة، ابتعدت بخطوات غاضبة دون أن تسمع صوت تهشم الزجاج في القناة.

إنها لا تبدو سعيدة على الإطلاق بحصولها على هذا الشاب، هناك دوامة صغيرة باردة تستقر عميقًا في شريانها الأورطي، وتتحرك بغضب رغبة في التحرر من السجن الذي وجدت نفسها فيه.

أخرجت جهاز القراءة "O.Y" ووضعت السماعات في أذنها، ولبست النظارة. كان المكان منعزلًا إلا منها ومن أحد الأحفاد الصغار الذي أخذ يدور حولها مغنيًا أغنية الميلاد. لا شك أن الهواء صار أبرد مما كان عليه في الأيام السابقة بسبب الأمطار الصناعية التي نزلت ليلة المهرجان..

أشعلت الجهاز عن طريق الشاشة في معصمها التي أوصلتها بالقارئ، واختارت إحدى الحكايات عشوائيًا؛ حكاية كلاسيكية، إنها مغامرة أرضية تقوم بها فتاة من أجل إنقاذ عاشقها من الخطر المحدق به، رومانسية أرضية مفرطة لم يعد من الممكن أن تحدث؛ فليس هناك من خطر يمكن أن يتربص بعائد -على سبيل المثال- ومن ثم تضطر هي لإنقاذه..

كانت المشاهد تتابع أمام عينيها عن طريق النظارة، وتسمع صوت الأبطال بوضوح من خلال السماعات، إنه مثل ما كان يطلق عليه أستاذ التاريخ "الأفلام الأرضية التي كانت تعرض على شاشة التلفاز"، لكن الفكرة هي أن الجهاز الحديث يحول الحكاية في عقل القارئ إلى لوحة حية، إنه يعتمد على تحويل التخيل الموجود في العقل عن طريق القراءة إلى فيلم أرضي يخرجه العقل نفسه..

لم يكن ذهنها صافيًا؛ لذا جاءت صورة البطل مشوشة للغاية، إنها أقرب إلى صورة عائد كما شاهدته في المرة الأخيرة، عندما غادر البيت قبل هطول الأمطار الحمراء، ارتدى معطفه الرمادي الشفاف، ولبس خفه المصنوع من جلد الدلافين، وغادر.. بالبساطة نفسها التي توحيها الكلمة، المغادرة... أولاها ظهره، ومنحها منظر كتفيه العريضة، وأعطاها الخواء عقب خروجه، وكأن كرة ممتلئة بالماء انفجرت في جوفها فجأة؛ فشعرت بالبرودة التي تخلت عن المياه.. غادر وكأن لا شيء يهم، حتى الوداع في بعض الأحيان يمكن أن يكون أكثر رقة من المغادرة، فإذا كان

قد التفت إليها لشاهد وجهها يتخلى عنها ويحل محله لوحة ممتلئة بالألوان المبهجة سكب طفل عابث الماء عليها قبل أن تجف..

حاولت حصر تركيزها في الجهاز كما تفعل دائمًا؛ لأن الحقيقة هي أنها قارئة ممتازة، وحصلت على المركز الأول في القراءة لثلاث سنوات متتابعة في المدرسة؛ لأن عقلها يمكنه أن يركز في القصة دون أن يتزحزح قيد قشرة، كثيرون فشلوا في حصر تركيزهم، لكنها كانت تمارس عادة التخيل مستيقظة كلما جلست على المرج الأخضر الصناعي، وأسندت ظهرها إلى عمود الإضاءة، ووجهت نظرها تجاه ملعب الكرة الطائرة؛ إنه مكانها المفضل للخيال.

لكنها لا تدري حقًا السبب الذي دعاها اليوم للتشتت، لابُد أنها مصابة بمرض ما، تشعر بصقيع غريب يلف قلبها، ويحكم قبضته مع الوقت..

بدت الدوامة الباردة الصغيرة التي تغزل خيوطها الناعمة حولها، تخترقها إلى الأعماق، ربما تسأل والدها ما سبب مرضها الغريب؟ حينها قد يعطيها دواء مهدئًا يمكنها أن تنام أخيرًا.

قطرة هبطت على عينيها، تساءلت إن كانت الأمطار تهطل بسبب عطل فني في نظام السقف الزجاجي، إذ من المستحيل على البلدية أن تسمح بهطولها في جو... لكنها أدركت لاحقًا أن مصدر الأمطار كان سقف عينيها.

قامت بعنف من مكانها.. ثائرة على الـ "لا شيء" الذي تبكي من أجله، على ما يجعل ذهنها مشتتًا، على برودة غريبة تجتاح عالمها الدافئ..

ميـــلاً ميـــلا.

شخص واحد فقط قد يناديها هكذا..

جاء رامي راكضًا، بإصبعه السبابة، أغلق زرًا في جهاز الأغاني الذي يضعه في أذنه، قال بحماسة:

- قالت والي أنكِ خرجتِ، بحثتُ عنكِ. آه، تقرأين إذًا!

مرر يده على الجهاز الذي يرقد بين أصابعها.. ارحل، غادر.. فكرت وهي تتبع الوحمة التي تزين جانب خده الأيمن.

سألها إن كانت قد تناولت غداءها؛ لأنه يفكر في أن يدعوها إلى مطعم، كذبت بشأن الغداء، وادعت أنها قد تناولته مبكرًا، لذا اقترح أن تجلس معه ليأكلا وجبة خفيفة، فتح حقيبته الصغيرة وأخرج كيس جندوفلي مطبوخ وطري، فتح الكيس ودعاها للطعام، أكلت بذهن شارد قليلًا.

سألته عن نشاطاته، قال أشياء لم تفهمها، ربما سيترشح للفوز بالبطولة أو شيء من هذا القبيل إذا استمر في بلا، بلا، بلا، بلا..

موجة باردة كبيرة اخترقت عظامها فجأة، فانكمشت على نفسها صارخة بهمس، قام الشاب مفزوعًا، سألها:

- ما الأمر؟

همست موضحة شعورها، بشهامة خلع معطفه الدافئ، وبرفق أداره حول كتفها وفوق رأسها، بهدوء جلس إلى جوارها، برقة أمال رأسها ناحيته وضمها بسكون.

كعاشقين فرّا من القيود، ورآهما رسام فقبض عليهما داخل إطار لوحته، جلسا متجاورين، قال:

- هل تعلمين؟ لقد كنتُ أراقبك منذ سنتين..

رفعت رأسها إليه، لم ينظر إلى عينيها الذهبيتين المصوبتين نحوه بذهول ينشد الدفء، أكمل:

- أنت كحلم بالنسبة إلي، كرغبة برؤية النجوم والقمر، والسماء.

شهقت بعنف، وهتفت جزعة:

- لا تقل هذا، إن سمعوك سـ ... سـيقتلونـ...

وضع إصبعه على شفتيها، وهمس كأشعة شمس يحلم بها:

- أنت الوحيدة التي أقول لها هذا، لا تخافي عليّ، لن أجعلهم يقتادونني بعيدًا عن مرمى عينيك.

دست رأسها المشوش داخل صدره، عبث بخصلات شعرها، وقال:

- أنا نادم الآن.

رفعت رأسها:

- لماذا؟

قال بخجل:

- لأنني طلبت منك أن ننتظر.

أخفت رأسها من جديد، وهمست:

- هذا أفضل.. شعرت بالدفء، وإن ظل الصقيع يعتصر صدرها، ويؤلمه بقسوة.

كمُعَلِم الرياضة الحاسوبية الإلكتروني الممل، الذي يقاطع خيال الطلاب كل بضع دقائق عندما يراهم في حالة سكون، اندفعت والي تشق طريقها نحو العاشقين، وتجر بذيلها المجموعة كلها، هتفت بصوت أسمع المدرسة كلها:

- ها أنتما هنا أيها العاشقين الخفيين.. تعالوا يا شباب وجدتهما.

ابتعدت جميلا عن كتف رامي وقد دفأها الغضب:

- لا أذكر أنني طلبت منكِ البحث عني يا والي..

ابتسمت والي، وجلست في مواجهة رامي الذي قال مازحًا:

- أأحضرتِ كتيبة الإعدام كاملة؟

ضحكت والي كأنها سمعت لتوها أجمل حلقة من مسلسل "سارع إلى حتفك" الكوميدي الذي انتهى عرضه الشهر الماضي، وقالت:

- ليس عدلاً أن يقتصر العالم عليكما معًا..

ثم دست يدها في كيس الجندوفلي وأكلت بضع حبات دفعة واحدة. جاء الأصدقاء وتحلقوا حول الثلاثي المتباين المشاعر، وكأي مجموعة بدأوا يتحدثون بصوت واحد.. كل اثنين أو ثلاثة يتكلمون في موضوع ما، حتى صارت المرجة التي جلس جماعتهم فيها عبارة عن مقرٍ لأسماك السيف المتعاركة من أجل المرح، مما حدا بأحد أساتذة اللغات القديمة أن يهتف في مكبر الصوت صائحًا: "توقفوا عن العجيج وعودوا إلى منازلكم، هيا."

قام جماعة من الأشخاص يضحكون بعصبية ويتحدثون عن المباراة المائية التي ستُقام يوم الأربعاء القادم، ثم تبعتهم "هايد" وهي فتاة ذكية ذات شعر طويل يصل إلى مؤخرتها، لكنها كئيبة للغاية، بينما ظل كل من رامي، ووالي، وجميلا، و"سايد" يتحلقون حول الكلام الذي يدور بينهم كعصا مجنونة. كان سايد أحد أعضاء فريق الكرة الطائرة، وطفيل إلكتروني لوالي، حيث كان لا يفتأ أن يرسل لها تعليقات حول الصور

المتحركة "GIF" التي تحب والي التقاطها لنفسها ولكل ما حولها من أشياء لا تثير سوى اهتمامها وحده، ويبدو أن سايد يشاركها الاهتمام الإلكتروني الساذج نفسه، بينما هي لا تتوانى لحظة عن توجيه السخرية إليه على مرأى من الجميع، المسكين كان يحاول دائمًا إرضاءها منذ كانا معًا في المرحلة التمهيدية الأولى، كانا يتجادلان كمصارعين قبل بدء العراك الحقيقي حول إحدى الصور التي تمثل منظرًا جبليًا بحريًا، كان الجبل الأحمر مشهورًا لدى هؤلاء المهتمين بالبراكين البحرية في شمال المحيط الأطلسي، وكان هذا من صميم عمل العالِم الهيدروجيولوجي "إليام" والد والي، الذي كان كثيرًا ما يصطحبها إلى مقر عمله في منتصف فترات الدراسة مما كان يعرض الفتاة لخطر الفصل، أو لهبوط مستوى الأداء الدراسي، لكنها والي على أي حال؛ عنوان الشغف الفردي المتوحد التي يمكن أن تتخلى عن رقم اختبارها لو أرادت من أجل ممارسة ما تحب دون الاهتمام برأي الآخرين فيها...

قال سايد بحماسة لا تناسب الموقف:

- لقد أدخلت أداة التتبع الإلكترونية، وحصلت على معلومة سرية تقول إنهم اكتشفوا بركانًا جديدًا في الصحراء الغربية من الأطلسي..

قاطعته والي مطوحة شعرها القصير في الهواء:

- هراء.. إذا وجد شيئًا كهذا سأكون أول من يعلم.

قبضت على ثلاث حبات جندوفلي وقذفتها في فمها مقلدة ساندیرو بطل مسلسل "سارع إلى حتفك" الذي كان يقلد همجية سكان الأرض القديمة وهم يتناولون الطعام، ثم صارت عادة أكل الجندوفلي بهذه

الطريقة، وفقًا لمقاييس العالم الجديد، حركة من أجل المزاح، ومن ثم تحولت إلى طريقة لتناول الطعام لدى فئة الشباب الصغار.

رد سايد بذل متخذًا من نفسه درعًا بشريًا لحماية وجهة نظره:

- ولكن ما السبب في رأيك بأنهم لم يبنوا أية مقاطعة في المنطقة الغربية من الأطلسي؟!

هزت والي كتفها، وقالت بحنق:

- للسبب نفسه الذي لم يبنوا فيه مقاطعة في المنطقة الشرقية من المحيط الأمريكي الجنوبي.

صمت سايد برهة من أجل البحث عن حجة جديدة، واستغلت والي الفرصة في تناول جندوفلي بطريقة ساندويرو، وهي تنظر بطرف عينها إلى رامي، لاحظت كم أن أكتافه عريضة للغاية وكأنه يضع بها تلك العضلات المزيفة التي اعتاد ممثلي الإثارة الرجال وضعها في عروض الكبار التي تأتي على المحاكي في السابعة، أفلتت منها قطعة سمكية صغيرة فسارعت إلى التقاطها قبل أن تكتب لها مخالفة، وتقابلت عينها بعينه التي تبعت حركتها وهي تلتقط السمكة الصغيرة بسرعة، سارعت بوضعها داخل فمها، فحول انتباهه إلى خصلات جميلا التي كانت ترتجف كبيضة على وشك أن تفقس، تخيلت والي أن تخرج سلحفاة سوداء قرعاء من فم جميلا وحينها سيتوقف رامي عن إيلاج يده المتحرشة في شعرها، غصت بلعابها، وسعلت بعنف، ثم اقترب سايد بلهفة من أجل أن يضغط بطنها، فدفعته بعنف ليسقط أرضًا مرتعبًا من رد صديقة طفولته العنيف غير المبرر.

اختفى سعال والي فجأة كما بدأ، ووجد سايد حجة جديدة، هتف والألم المخفي يغوص في أحشائه ليختلط بطعام الغداء اللذيذ الذي تناوله منذ ساعة، ويحوله إلى قيء أسماك:

- هذا لأنكِ صرتِ همجية كأهل الأرض، أهكذا تأكلين الطعام؟

صرخت وقد ازداد غضبها حدة:

- اسمع لن أسمح لشخص مثلك ربما لن يحصل على رقم اختبار أبدًا أن يوجهني إلى ما يجب أن أفعله.

هتفت جميلا:

- والي..

ثم قال رامي:

- على رسلكما، ما الذي...

خرج القيء المحتبس في فم الشاب الجريح على هيئة كلمات مندفعة كريهة الرائحة:

- أنا الذي لن يحصل على رقم اختبار! ها أيتها الأرضية الغبية ذات المستوى السيئ اللعين، أنتِ أسوأ من سلحفاة عاهرة.

قال رامي:

- سايد..

ثم قالت جميلا:

- لقد زاد الأمر عن حده إنكما بالفعل لـ...

لكن سايد لم يهتم بسماع بقية الجملة إذ قام آخذًا معه رياح السكون الدافئة، ظلت والي ناكسة رأسها في الأرض بينما اهتزت كتفها وكأنها تنشج بصمت.

كانت غاضبة، بل مذبوحة غضبًا. ليس من العدل أن تصب دماءها على رأس صديقها المخلص، لكنه بالنسبة إليها قد أدى مهمته على أكمل وجه، لقد انتهى دوره من حياتها..

قبل سنتين، كانت وسايد يمزحان، ويأخذان الحياة داخل المياه على محملين مختلفين، فبينما كان سايد عقلانيًا بدت هي متسرعة ومندفعة كدوامة لا تحدها رياح ثلجية، وكبركان لا تمنعه صخور غبية من التعبير عن ثورته المكبوتة..

لكن سايد انضم لفريق الكرة الطائرة، كانت تتابع تدريباته وتشجعه دائمًا، وبإخلاص حثها الشاب على الانضمام إلى أي نادٍ رياضي، لكنها فضلت أن تكتفي بمتابعة تدريباته وكأنه واجبها المقدس الذي خلقت من أجله..

أخبرها يومًا وهما معًا أن أصدقاءه يطلقون عليها اسم الحكم السري، لم تهتم بل شعرت بالفخر والسعادة لأنها لفتت انتباههم إليها، وبالفعل علمت أدق التفاصيل في تحكيم الكرة الطائرة، وصارت الحكم العادل.

لكن سايد الوغد بدأ يميل إليها، الحقير في أسوأ وقت يمكن أن يميل فيه شاب إلى فتاة...

كان رامي يتابع جميلا التي كانت تتحدث الهراء، كقشور أسماك متعفنة قالت:

- والي أتعلمين أن سايد لا يقصد ما قاله؟ إنكِ قد أثرتِه فقط بقولك.. لكنها لا تهتم، لا تهتم على الإطلاق إلا بـ...

همس رامي بشيء ما في أذن جميلا فابتسمت بمرح، فهتفت والي وهي تقوم مندفعة وكأن بركانًا انفجر في مؤخرتها:

- جميلا، لنذهب الآن.

قامت جميلا، ونظرت إلى رامي معتذرة، هز رأسه متفهمًا، سارت والي إلى الأمام ولا يزال رأسها منكسًا، اقتربت جميلا وحاولت مجاراة خطوات صديقتها الواسعة وكأنها تسير على مكوك بالنيتروجين، توقفت والي فجأة، نظرت جميلا إليها بدهشة...

أدارت والي عينيها إلى الوراء ونظرت إلى رامي وهو يرحل بعيدًا في الاتجاه المعاكس، وهنا أطلقت العنان لانفجار دموعها..

* * * *

عندما يقبل عائد على إجراء تجربة جديدة تمامًا، وبعد أن يعد المتطلبات اللازمة، ويرسم الخطة التي سيتبعها على جهاز التابلت، ويضع في اعتباره المساوئ الممكنة، وما النتائج السلبية التي قد تسفر عنها هذه التجربة؟ عندئذ يغلق على نفسه الباب، يقوم بإعداد كاميرا الفيديو القديمة، ويوصلها بموقع الإنترنت "Secret Society" المشهور بالاختصار الآتي "S&S" الذي يمنح لمستخدمي الإنترنت السرية التامة التي لا يمكن لأي كان أن يخترقها، حينها يتكلم عائد مساعد العالم فرح عن تجربته بـ"طريقته الخاصة"..

كان قد أنهى لتوه تحضير تلك الشبكة المعقدة من الألياف الجينية التي حصل عليها مؤخرًا، اكتفى باتباع الرسم التخطيطي المدرج في تلك الشريحة الصغيرة التي تخلص منها بنفسه، وعندما سأله فرح عمن يمكن أن يستعد للتطوع ألهمه بأن يتطوع بنفسه بوصفه الجانب الموجب في

التجربة، إنه فقط بحاجة إلى وعاء حاضن لها، ويجب أن يكون الوعاء جميل الشكل، ومن ثم ستخرج التجربة في أبهى صورها.

كان عائد يفكر في سؤال إحدى فتيات "السعادة" الفاتنات، مثل "روبا" أشهر الفتيات على الإطلاق في العاصمة، وبما أنه يستطيع أن يضمن موافقتها، إلا أنه قد يستغرق سنوات حتى يضمن خلوها مما قد يفسد التجربة.

إنه سيفكر في هذا الجزء على أي حال، وإن حتى تطلب الأمر منه أن يستعين بإحدى الأرضيات في حالة ما إذا كانت تمتلك الصفات المناسبة التي يطلبها..

أوقف نزيف ذراعه الأيمن ببخاخ الألم، ثم ربط الجرح الذي سببه بنفسه، نظر إلى قطراته المتسربة على أرضية المعمل الزجاجي المضيء، وهمس معتذرًا لها: "أنا آسف في بعض الأحيان تتطلب الأمور اللون الأحمر من أجل أن يقدر لها النجاح."

ثم مسح الدماء القتيلة وطهّر الغرفة من آثار الجريمة، ارتدى قميصه الأبيض النظيف، وتلحف بمعطفه الأسود المضاد للإشعاع، وجلس على كرسي أمام كاميرا الفيديو التي كانت ترسل أشعة صفراء دلالة على الاستعداد.

رفع كتفيه وقال بثقة : "الآن..."

تغير اللون مع بصمة صوته إلى الأسود علامة على البدء: "عائد الاختبار الثالث. التجربة الثالثة والستون.. ميلاد جيل جديد لعالم جديد."

لماذا قد يفكر شخص ما في أن يصبح أفضل مما هو عليه؟ كأن يرى من يتلوى جوعًا فيمتنع عن صبّ بقايا أطعمته داخل ممرات القمامة، أو كأن

يشتري علبة بخاخ للآلام وعليها علبة هدية فيعطي الأخرى لجريح ينزف، أو أن يكتفي بأخذ واحدة فقط ليعالج الجروح التي قد يسببها له الآخرون ويتوقف هو عن أذيتهم، أو كأن يقف شخص ما ويعلن أنه سيقاطع عروض مصارعة الحيتان التي يجري عرضها في آخر شهور العام، أو كأن يقول إنسان سأتوقف عن عيش بقية حياتي كطعم للآخرين، مصيري معلق بين أسنانهم التي تتناول حساء البارو المعجون بدمائي..."

تهدج صوت العالم لفترة وأكمل بصوت ضعيف خافت: "... أو أن يقول شخص ما إن إرسال صديقي إلى الأرض لأنه لم يكن جيدًا كفاية للحصول على رقم الاختبار هو الظلم عينه.."

وكعائشين في عالم مثالي قد تبدو لنا هذه التصرفات مثالية، لكن ممارسة أي منها قد يعرض صاحبها لخطر النفي -إن كان محظوظًا- إلى الأرض القديمة، وإن لم يكن كذلك ربما يصير صديقًا جيدًا للحيتان المتخمة حتى تهضم طعامها، والصدق فيما أقول إن النوم مع الحيتان ليس مريحًا أبدًا..

ما المثالية التي يطمح إنسان إليها في عالم يعج بمثالب المثالية العكسية؟ أهي تلك التي تعني اتباع القوانين والعمل بمقتضاها، أم وضع مثالية تتفق، والبدائية التي لا يعرفها سوى سكان الأرض القديمة قبل الشناعة الخامسة؟

لذا انبثقت فكرة تجربتي.. إنسان مثالي لعالم مثالي..

انظروا إلى عالمنا الخفي الذي يرقد تحت طبقات من المياه الراكدة، وإن كان في تقدم كل يوم، لا بل كل دقيقة، تقدم يكاد يكون مجنونًا في فحواه إن أمعنت النظر عن قرب.. توقف مؤقت."

تحول ضوء الكاميرا إلى الأصفر مجددًا، مسح عائد جبينه بكمه، وخلع معطفه، قام بتؤدة وأخذ يسير في المكان متممًا لنفسه بما سيكمل به خطابه المرتجل..

نظر إلى النافذة التي تقبع خلفه فوجد صبيًا يركب مكوك نسخة العام التاسع والثمانين لميلاد العالم الجديد، وينطلق به إلى حيث يوجهه عن طريق الطوق الذي يضم رأسه المليء بالشعر.

عاد إلى مكانه أمام الكاميرا، ابتلع ريقه بصعوبة وهتف: "إكمال... عالمنا المثالي الذي يتطور يوميًا في مواجهة عالم الدمار الأرضي الذي في طريقه إلى الزوال.. مَن مِن الممكن أن يوقف اندفاع الاثنين في تيارين عكسيين؟ من سيكون لديه الشجاعة على الوقوف في المنتصف ليقول: قف؟

السياسيون يعملون بتخاطر خفي على تدمير كلا العالمين، فالأول يقتل البشر ويحولهم إلى آلات تسير بوقود سمكي، نتحول إلى ذوي الزعانف والخياشيم من أجل أن نكتفي بالعيش في الظلام؛ لأن النور يقتل..

والآخر يعمي من يرون النور، ويجعلهم يتوقون إلى الظلمات من أجل أن يعيشوا كبشر.

إذًا لا بد من وجوده.. ذلك الكائن المثالي الذي سيتمكن من القيادة الصحيحة الحرة التي ستساعد المثالي على أن يصير طبيعيًا، والهمجي على أن يتحول إلى مثالي، الكائن الذي يمكن أن يعيد التوازن إلى ذلك العالم..

توازن القوى مطلوب لأجل أجيال ستأتي لتندم على وجودها في الحياة، وحينها قد تبدأ بالعيش على سطح القمر كما يفعل الآن نبلاء الحروب

الذين يديرون العوالم بإبهامهم، آخذين إشعاع القمر الأزرق كرمز على ألوهيتهم الزائفة، يخدعون بها العالم.

هذا الإحباط الذي اعتراني منذ حصولي على رقم اختباري لأول مرة دعاني إلى التفكير في الأمر.

دعاني إلى إعادة النظر في حواراتنا معًا؛ أنا وهو.. رؤية من اعتدت أن تعيش وسطهم وتمزح معهم يذهبون لأنهم لم يكونوا جيدين كفاية، أو لأن العالم لم يكن رحيمًا بهم، أو لأنك أفضل منهم، أو فقط لأن الشعور بالإحباط اعتلاك في لحظة ما كان من المقرر له أن يظهر فيها..

هذا الشعور الخبيث الذي داهمني ليلة الحصول على الرقم، كثعبان بحري يلف سلحفاة بغية أن يبتلعها كليًا، دفعني إلى أن أفكر في أن ظهر السلحفاة لو كان أصلب مما هو عليه لما وجدت طريقها في فم الثعبان، ولكونها عارية تنظر إلينا بينما نحصل على أفضل أجزائها وأكثرها حميمية بالنسبة إليها، من أجل أن نصنع مكوكًا أقوى لطفل يحب حساء السلاحف، وجدت أن طريق خلاصها يكمن في هذا الضوء الذي يبدو لها في نهاية جوف الثعبان الذي ينام فاغرًا فاه منتظرًا الحصول على لحم مجاني لذيذ..."

قام عائد من مقعده ليجلب التابلت، ثم أوصله بالكاميرا، فظهرت خريطة متداخلة البيانات، تقدم نتائج بسرعة مهولة، ظهر صوته في الخلفية: "لقد أعددت كل شيء.. أعرف أن اختراعي قد يواجه معارضة كبرى من جانب إدارة العلماء المركزيين في العاصمة، لكنني سأحصل على الدعم على أي حال..

كل ما ينقصني هو الوعاء الذي سأختاره لهذه التجربة، أرجو أن أحصل عليه قريبًا، فقد وجدت من نفسي النموذج الموجب وتبقى النموذج الحاضن للتجربة..

ما تكون الحياة لولا وجود قدر من التحدي، والإخفاق، وآلاف الأطنان من الإحباطات!

فلا نزال نقبع داخل حياة حتى وإن ظننا أننا قد تغلبنا على الشناعات التي تندلع في كل مكان، فلا تزال الشناعة الكبرى غافية داخل قلوب البشر، وإنسان يعرف الحق دون أن يتأثر بأفكار مسبقة تؤثر في اتخاذه القرار هو هدفي..

فكل يسعى إلى عالمه الجديد بطريقته الخاصة. وعالمي الجديد خالٍ من العيوب، وإحباطات الفانين..

عائد.. التجربة الثالثة والستون. إنهاء.. سري للغاية.."

تحول ضوء الكاميرا إلى الأخضر إعلان النهاية، وطلب الجهاز الرقم السري لهذا الملف، أدخل عائد: "Beauty Farah".

انتهى عائد من خطوته الأخيرة، فقبع أمام النافذة ينتظر.

كان عقله أبيض كالملح الصافي الممتزج باللبن، فشعر بلذة دخيلة تسير من عقله حتى حلقه، فابتلعها بلهفة لم تحصل..

اكتفى بتأمل نفسه كمصارع حر يقف أمام حوت شرس، مقيد لا يتوقف عن إصدار صرخات التحدي، لم يعجبه ما رأى.. إنه مصاب بحالة جنون الإحباط التي تجعله خاملاً وساكن المظهر وإن كان داخله يموج بعاصفة بحرية ابتليت بأخرى رملية تهرع هاربة من الأرض، وتلقي بما تحمل من

أعباء على كاهل الأمواج التي تحاول ترتيب بداياتها، فتصطدم بنهايات لا حدود لها، ليس لها بدايات..

الحياة بحد ذاتها كفيلة بإصابته بالجنون.

لولا بقايا القدرة على الاحتفاظ بمشاعره لنفسه ولـ "S.S" لما قرر أن يكمل لحظة واحدة إضافية.

إنه يجرب الموت حيًا في كل مرة ينهي فيها بث إحدى تجاربه..

الجلوس بصمت، والاستماع إلى الخواء يعوي في الخارج، بينما القلب مشتعل بفكرة حمقاء تدور في شراينه كإلكترون أصابه الملل من كثرة الدوران حول نواة منقسمة تصارع الموت. هذا ما يفعله.

يفكر في عدم التفكير، فيأتيه الفكر متلاحقًا يمسك بتلابيب عقله خوفًا من أن يرحل وحيدًا.

فكرة مجنونة تسيطر عليه وهو ساكن، إنه يريد جميلا أن تكون وعاءه الخاص.

جميلا وعاؤه الخاص..

وعاؤه الخاص..

الخاص..

تدور وتدور كإلكترون نَشِط بعد ملال حول نواة منقسمة تصارع الموت.

* * * *

عندما يدخل العالم فرح إلى مختبره الواقع في الطابق الثالث عشر من المبنى الأنيق الذي يملكه بالشراكة مع علماء آخرين من إدارة علماء العاصمة

المركزيين "إ ع ع م"، يفرغ عقله تمامًا ويوجهه إلى الهدف الذي سارع الخطى لأجله إلى المعمل، ويعمل على ألا يشغله أي شاغل آخر.
لقد آلى على نفسه ألا يسمح لأي شيء أن يعطل مشاريعه التي يقوم بها من أجل خدمة البشرية التي تقبع تحت مسمى العالم الجديد.
منذ أكثر من عشرة أعوام، في معمله البدائي في المقاطعة الخامسة، كانت زوجته تدخل إليه بهدوء وتطوق خصره من الخلف، وحينها كان يسمح لعقله بكل سهولة أن يتشتت، وعندما غرقت في مياه الريف البحري بعدما تسرب الأكسجين من الأنبوب الكبير المعدني الذي كانت تضعه على ظهرها على غفلة من زوجها الذي كان منشغلاً حينها بمنع ابنته الصغيرة الباكية من اللحاق بأمها إلى الأعماق..
ولأنه كان منشغلاً، فقد راقبها ذكر آخر غير منشغل، ذكر كبير وذو أسنان حادة، وقف يتربص بها حتى انهارت في الأعماق، وحينها اقترب منها القرش ذو الجسد اللامع والأسنان المغسولة بهدوء غير مستعجل كأن العالم كله يمكن أن ينتظر هذه اللحظة، وسحبها برقة دون أن تقاوم، بل إنه نظر في عينيها السوداوين النادرتين باعتذار أقرب إلى التذلل وطلب المغفرة، وهمس في أذنيها التي امتلأت بالمويجات الصغيرة لذا لم تسمعه بوضوح: "لقد قدِمتم إلى عالمنا بإرادتكم عزيزتي، وحان الوقت لبعض التضحية الحمراء."
قبضت أسنان القرش الحارس الذي من واجبه أن ينظر في مياه الريف عمن يتسرب منهم الأكسجين تحت الضغط العالي، ومن ثم يحضر الوجبة الطازجة إلى قبيلته قليلة العدد التي بدأت تتناقص رويدًا، رويدًا..

وقرر ذو الجسد اللامع أن يقدم هذه الفتاة الحلوة لمن تزوجها حديثًا، علها تحصل على تلك العيون السوداء الجميلة.

وكذكرى لهذه الساعة الأليمة اخترع فرح أنبوبًا مانعًا للتسرب أطلقت عليه إدارة علماء العاصمة الاسم الذي اقترحه: "العيون السوداء المنطفئة"، ومنذ ذلك الحين تناقص أعداد الذين ينجرفون من أذرعهم إلى ولائم القروش في الريف البحري، بالإضافة إلى أعداد الحراس القرشية التي تقف بانتظار المحتلين في الريف. توازن جميل إن كنت من أصحاب الدفاع عن حقوق البشر في العالم الجديد..

يصنف العالم فرح ضمن هؤلاء الذين لا يغرقون في عواطفهم إلى الأبد.. فالحياة تستمر، والاستمرار هو مرادف الحياة، لكنه فقط ترك معمله البدائي وحصل على معمل شرفي من "إ ع ع م"، واستقرت ذكرياته، وهدأت طموحاته الزوجية كثيرًا.

كان يقول لنفسه وهو يراقب سيقان السعيدات الممشوقة ذات الامتلاء المحبب عند الركبة: "لا وجود لـ "لان" كمثل انعدام الوجود فوق المحيط."

حينها تنظر إليه امرأته السعيدة التي قضت معه الليلة، وتمنحه ابتسامة لذيذة وقبلة جافة عملية للغاية وتقول له: "سعيدة لخدمتك سيدي، سعيدة لما قدمتُه لي." ومن ثم تغادر وقد حملت استمارة ملأها بنفسه تعطيها علامة جيدة..

وقد حصلت إحداهن على رقم اختبار واحد لأنه استدعاها ثلاث مرات، وأعطاها في كل مرة علامة جيدة لأنها لم تكن تشبه زوجته السابقة لان في أي شيء، وكان هذا مذهلاً..

لكنه في تلك الليلة المشؤومة التي قررت البلدية إمتاع المئوية بأمطار حمراء، هاجمت صورة زوجته وهي تضحك له عقله بقوة، وكمحتل غاشم سيطرت على خلاياه بغمضة بسيطة مدمرة كل خططه الاستراتيجية التي كان قد وضعها لنفسه.. ستهتم يا فرح بابنتك وتنشؤها على خير، ستنسى يا فرح أوجاعكِ كلها، ستعيش يا فرح دون قلب بقية حياتك؛ لتنسي الفرح يا فرح وليكن للحزن نصيب من اسمك...

صوت الضحك الذي كانت تطلقه زوجته بحرية في منزلها، والتي لم تكن لتجرؤ على أن تشاركه العالم أبدًا حتى لا يشي بحقيقة أنها ابنة الأرض القديمة، حتى لا يشي بأنها إنسانة تعرف كيف تضحك متى أرادت؟

خافت من العالم ولم تخشه لأنه كان عالمها الذي تسكن إليه، بينما اعتبرت حياتها وصلة باهتة لكنها ضرورية تربطها بحب حياتها الأول والأخير.

سألها إن كانت قد أحبت في السابق، فكان ردها وهي تنحني لتسقي زهورًا وهمية زرعتها في حديقة قلبها المشمسة: "ما كانت سابقة قلبي إلا تمهيدًا لاحتواء قلبك، وما كانت قرعات قلبي العشوائية في الماضي إلا تمهيدًا لدق ناقوس حبك الأعظم.."

لكنه كان أنانيًا، تمنى حقًا لو لم تكن قد رأت رجالًا قبله، تمنى لو أنه ولد معها على أرضية صلبة وأحبا بعضهما إلى الأبد.

اشتعلت أعصابه في المعمل المضئ بنور صناعي قوي آذى عينيه القاسية التي قطعت شفراتها الدموع، فخافت أن تتعدى حدود إنسان عينيه..

لكنه الليلة يحن ويئن عشقًا..

كان المكان صامتًا يذكره بالحياة، وقلبه يطرق صدره بعنف طبولٍ مجنونة لعازف أرضي لم تحب زوجته المدفونة في بطن قرش رومانتيكي صوته..
تُرى ما الذي شعرت به عندما أحست بنفسها في معدته؟ هل فكرت في أنها لن ترى فرح مجددًا؟ هل فكرت أنها ستموت لتحيا في جلد آخر؟
قالت له يومًا كاذبة: "لتولد من جديد عليك أن تموت أولًا.."
وها قد علم أنها كاذبة، لكنه لم يشعر بالكراهية تجاهها أبدًا..
في تلك الليلة أدرك بعد غيابها بألا شيء يدوم حقًا.. لا الحب، لا جذوة الصداقة، لا الانتماء، لا العاطفة، لا الإيمان؛ فكلهم قد صبغتهم ألوان الحياة العفنة المتقلبة ومنحتهم شعاعًا مظلمًا يعلن بوقاحة بألا شيء يبقى.
كان داخله إحساس تلك الليلة التي ماتت فيها امرأته بأن شيئًا ما سيحدث، ولن يكون جيدًا، لذا فبينما تقبله في شفتيه قبل أن تنزل الريف، أرسل لها لسانه رسالة الخطر، لكنها ردت بثقة وهي تحمل الأنبوب على ظهرها الأملس: "انتبه إلى ميل.. باي."
ولأن من مهام الحياة أن تحقق أسوأ كوابيس الإنسان شناعة، فقد رحلت امرأته متلحفة بغباء أرضي لم يفهم مغزى الحرص العالمي الجديد..
لا تحب الحياة أن تخلف وعدها معه.. فقد منحته الصبر والحزن أطنان ما كان يتمنى، ومنحت ابنته الرعاية التي أرادها وأرادتها المقتولة.
أدركت الحياة بعاطفتها الأمومية الجموح بأنه لا يصلح لشيء من هذا القبيل، وأن عقله عندما يعمل يبتكر دافعًا إياها إلى الأمام نحو التقدم.

بينما قلبه عندما يفكر في العمل لبرهة، تتوقف مفاتيح الكون عن إدارة تروس العيش، فتتوقف الدنيا عن ابتكار الشقاء الذي تعتمد في عيشها على تجريعه دسًا في أفواه الذين يعيشون فوقها وتحتها وبينها..

وهو قد اعتاد في نفسه البر، لقد حقق آمالها، لقد عاش بقوة لأن الموت الحقيقي ليس بيده وإلا لكان قد أذاق قلبه متعته.

لذا من الأفضل أن يسكن مجددًا، أن تتوقف أصابع يديه عن النشيج حزنًا على فقد البيت الأصفر الناعم الطويل الذي كانت تسكنه فوق رأس لان، وتتوقف معدته عن إصدار السباب القذر وممارسة السادية على طعامه الذي تتجرعه بصمت، ويتوقف قلبه عن الطلب مرة أخرى.. يتوقف عن طلب رؤية الخفقان الصغير كسميكات لذيذة صغيرة تسير خلف أمها التي تنجذب إلى ضوء حوت.

ليتوقف ببساطة عن فلسفة أسباب العيش -كما اعتاد أن يفعل- ليعيش.. لكنه لا يستطيع..

ليس هذه الليلة على أي حال، ربما غدًا قد يكون مشرقًا تختفي فيه أصوات الضحك من العالم كله، ويختفي صوت قرع الطبول وإصدار السباب، والنشيج..

غدًا..

لكن اليوم، قام فرح من مقعده بعنف، أمسك جهازه الذكي، بسرعة طلب مجموعة من الأرقام التي يحفظها عن ظهر قلب.

ظهرت له استمارة ملأها بسرعة بأيدٍ تصرخ بالبكاء، وتسبه بالخائن، أرسل الطلب، وانتظر: "جار التنفيذ..."

حينها أغلق الجهاز بعنف وألقاه أرضًا، جلس على الرخام البارد وسمح لنفسه بالنشيج، ثم سمع صوتًا ملائكيًا..

"لقد عدتُ يا أبي"

صاح من مكمنه بقوة:

- أهلًا ابنتي، هل أنتِ جيدة؟

ردت ابنته قائلة...

وصل صوت من الجهاز الراكد بتحفز بجواره: "سيتم تنفيذ طلبكم قريبًا.. رجـــاءً انتظروا بصبر..."

* * * *

تعاظمت معنويات الحضور كلما ارتفعت المياه الصادرة عن هذه النافورة الراقصة إلى الأعلى، وكلما شكلت صورًا جديدة، صرخت جميلا بهجة عندما صورت النافورة شكل تمساح شبيه بذلك الموجود في مطعم البحر، طوّق رامي خصرها بلهفة وهتف قائلًا: "يا للعلو!"

كانت النافورة عالية كمبنى مكون من عشرة طوابق.

إنها الاحتفالية التي تقيمها حديقة "المياه الساحرة" كل بضعة أسابيع دعوة إلى مشاهدة رقص النافورة الغريبة، لم يفوّت رامي الفرصة ودعا حبيبته التي قبلت بسرور عظيم.

لطالما أرادت جميلا مشاهدة النافورة التي يتحدث عنها الجميع، ولم يكن والدها يسمح لها بالسفر حتى المقاطعة الخامسة، التي تبعد عن العاصمة مسافة مائتي كيلو متر، ويستغرق الوصول إليها بالقطار المعلق ثلاث ساعات، أو بمواصلات الركاب خمس ساعات..

ولكن والدها وافق عندما طلب رامي منه ذلك بلطف، ابتسم الأب مكشرًا عن أسنانه بينما يكز رامي في ضلوعه وقال له: "إذا تأخر الوقت فلا داعٍ أبدًا بالاستعجال في العودة إلى المنزل."

وهو ما بدا غريبًا حتى بالنسبة لابنته التي وقفت تتساءل أين ذهب والدها المتحفظ؟ اعتبر رامي ذلك الأمر شهادة موافقة وثقة من والدها، وهو ما يفسر يده التي انزلقت لتمس فخذها الأيسر.

كانت الباستا المقرمشة لذيذة للغاية، والحضور أغلبه من سكان المقاطعة الخامسة الذين رفعوا أنوفهم إلى الأعلى فخورين بصنيعهم وقدوم الزوار إليهم، فعلى الرغم من كونهم من أفقر المقاطعات فإنهم كرماء للغاية وهو ما يفسر السبب الذي دعا فتاة صغيرة كوردة صناعية حمراء أن تشارك العاشقين حبات الجمبري الحريف الخاصة بها.

دفع رامي جميلا لتنهض ليكملا السير في الحديقة الخلابة، امتازت الحديقة بأنها تهتم بزراعة نباتات الظل، فمؤسسها الأول عمل لفترة طويلة كمهندس إنشاء حدائق في الأرض القديمة، قبل أن تتحول كل الحدائق التي صنعها إلى خراب بسبب هجوم الكتيبة الجائعة التي التهمت الأشجار كلها، وحصلت على التحلية من الأزهار.

اقترح رامي أن يذهبا إلى ممر العصور الساحقة من أجل رؤية الكائنات الأرضية المحنطة التي يزدهر بها الممر.

الظلام يحتضن المكان، الضوء الأخضر الذي كان من المفترض به أن يغطي ممارسات الظلام البذيئة على الكائنات كان ضعيفًا، أضعف من أن يعترض أو يهمس..

المكان خالٍ من الناس إلا قلة قليلة تسمع أصواتهم ولا تراهم، الحيوانات المحنطة التي قبعت خلف زجاجات العرض كانت جاثية على وجهها من الملل الأبدي الذي وضعها فيه الكائن البشري الذي يدعى الإنسان..

هتفت ميلا جزعًا: "إنه كالموت، كمقبرة تضم رفات أحياء."

وضع رامي يده على خصرها وجذبها إليه، كان خائفًا أيضًا، لكنه الخوف الممتزج بالعذوبة، كشعور لذيذ بالضرب غير الموجع من أجل التحبب، همس في أذنها: "أترغبين في العودة؟"

نفت وقد انتقل إليها شعوره اللذيذ، اقتربا من الحيوانات المحنطة التي تمثل بالنسبة إليهم الأهمية التي تمثلها رؤية الأسماك العمياء للبابسة.

كانت اللوحات التعريفية المصنوعة من معادن الجلامور اللامعة قد أغلقت أنوارها تعاطفًا مع رغبة الحيوانات للموت الأبدي الذي لم يكن لهم فيه خيار أبدًا..

صوت ضحكات انطلق في المكان كصرخة رعب وسط مهرجان يُقام في الضوء الساطع، ارتجفت شعيرات مؤخرة رأس جميلا، بينما انتصبت أذنا الشاب المتعلق بها ترقبًا..

في نهاية الممر المعتم الخالي مجموعة من الشباب لا يمكنك تحديد عددهم، يجلسون بمرح لا يتناسب مع مهرجان الحزن الأخضر.

اعتادت عينا الشابين الظلام الباهت، واستطاعا تمييز شباب في مثل سنهما إن لم يكونوا أكبر بعام أو عامين، لكنهم لم يحصلوا بعد على أرقام اختباراتهم، يجلسون على حوض من الأحجار الأرضية الكريمة ذات

اللون الأحمر المشتعل، كانوا كالأخوة بالأطواق الحمراء التي يضعونها على شعورهم الطويلة، هتف أحدهم:

- أهلًا، هل جئتما لتبادل قبلة؟

نظرت جميلا إلى رامي الذي هتف:

- وهل لديكم مانع؟

قالت فتاة تتصنع الظرف:

- مانع! كلا بالتأكيد، لكن تأكدا أن تكونا مقنعين بالنسبة إلينا..

اقترب منهما شاب عريض، وجسده أضخم من رامي، انكمشت جميلا وانغرست أظافرها في كتفه بقوة، قال الضخم:

- لا تخافا.. يحب أصدقائي المزاح.

ابتسم لهما بأبوة فتراخت أصابعها، قال الضخم موجهًا الحديث إلى رامي:

- كيف حالك يا صديقي؟ هل أنت بخير؟

تقلصت تعبيرات رامي وتجاهل الشاب كليًا، ونظر إلى جميلا وقال:

- هيا.. لقد اكتفينا من هذا المكان.

ظنت الفتاة بأن الضخم سوف يعاقب رامي على وقاحته وتجاهله إياه، لكنها فوجئت بأنه قابل التجاهل بالبرود وعاد إلى حيث أصدقائه، وهتف أحدهم:

- ضيعت علينا فرصة يا "جيم".

هتف الضخم بلا مبالاة وهو يتتبع مؤخرة جميلا:

- توقف يا " ألف".. ثم همس من بين أسنانه: "إنها جميلة كالسكر، وكالقمر."

ابتعدت جميلا ورامي مسافة معقولة، فأرخى يده التي شددها على كتفها، وأبطأ الشاب خطواته، حتى توقف تمامًا، ونظر إلى الخلف ويكاد يقسم بأنه لاحظ أسنان جيم تلمع في الظلام بلهفة واثقة ناظرًا إليه منتظرًا.

كان قلب الفتاة يدق بعنف حتى كادت تطلب منه أن يأخذ استراحة عشر دقائق ليعود إلى عمله مجددًا..

تنفست بعمق عندما رأت الناس حولها، وتساءلت أي شيطان جاء بهؤلاء الملاعين.

كان وجه رامي شاحبًا، كمن يتجرع شراب نجمة البحر المعتق لأول مرة، كانت تسمع صوت أنفاسه يتردد في صدره.

وقفت إلى جانبه وهتفت:

- هل أنت جيد؟

تنبه إليها وضمها إليه، شعرت بالدهشة، إنها تعرف بأنه كان يخشى فقدها أو أن يؤذيها هؤلاء بكلمة، أو ربما أسوأ، إنها لا تعرف لكنه متغير للغاية..

ظل هكذا برهة ثم ابتعد عنها، سألها:

- هل تودين العودة الآن؟

قالت:

- أجل، يكفينا إثارة لهذا اليوم.

ابتسم وكأنه يبتلع دواء الحمى اللاذع وسار إلى جوارها صامتًا. وصلا إلى محطة القطار السريع، ركباه وجلس أمامها في مقطورة منعزلة.

أمسك بيدها، لاحظت أنها لا تزال ترجف، ويغطيها عرق غزير بارد، نظرت إلى عينيه بقلق، وقالت:

- ما كان هناك من خطر عليّ، إنهم حمقى يحبون التسلية.

ابتسم الشاب الوسيم مكشرًا حتى ظهرت لؤلؤته وابيضت وحمته:

- وربما أسوأ...

سألت باستهتار:

- إلى أي مدى؟ أنت تعرفهم، مجموعة مغفلة تخشى السجن، ألاحظت بأنهم لم يحصلوا على أرقامهم بعد! أي أنهم تحت ضغط، وخوف من الحصول على رقم ضعيف..

تنهد رامي بهدوء وسألها مغيرًا الموضوع:

- لقد استمتعتُ للغاية. وأنتِ؟

هزت رأسها، وقالت بهدوء:

- وأنا أيضًا. النافورة مذهلة وأفضل من الصور المتحركة التي تلتقطها والي.

نظر إلى ساعته الرقمية المعلقة في سواره، وقال بتردد:

- جميلا هل تأتين معي؟

نظرت إليه بدهشة، أكمل ناظرًا إلى أرضية القطار الغامقة:

- إلى منزلي، إلى غرفتي؟!

كانت الفتاة تشعر بالسوء حيال نفسها، كأن هناك شيئًا ما فقد منها، كحلم لذيذ حلمت به وكانت سعيدة للغاية وعندما استيقظت لم تكن قادرة على تذكره.

قالت وهي تسحب يدها من يده:

- لقد اتفقنا مسبقًا أليس كذلك؟

هتف الشاب:

- أجل..

ونظر إلى النافذة التي كانت تمر بجانب الحدود فاستطاع رؤية المحيط الباهت من النافذة، وفي الحال راوده الشعور بالغثيان فأبعد نظره عن النافذة وأكمل:

- معكِ حق.

وصل القطار إلى المحطة الثالثة قبل العاصمة، فانحنى رامي وقبّل وجنتها برفق وقال:

- نتقابل في المدرسة، لا تنسي الحضور للمباراة الكبرى يوم الإجازة.

قالت:

- لن أنسى، أراكَ..

هتف وهو يخرج، ويلوح لها بإصبعه السبابة مودعًا:

- أراكِ.

وصل القطار إلى المحطة النهائية "العاصمة" كان المكان مزدحمًا للغاية على الرغم من تأخر الوقت، إنه موعد عودة الجميع إلى منازلهم من أجل الهدوء، وكوب الأعشاب الطحلبية الحار اللذيذ، ووجبة المرقة الطرية الخفيفة، والحب..

اصطدم بها شخص ما، فرفع حاجبه اعتذارًا وأكمل طريقه، وكإلهام سماوي زرعه المصطدم بها تذكرت أنها قد حلمت هذا اليوم السابق بعائد..

كان يبتسم إليها لأنها أعطته نصف قطعة من حلوى الجلوكوز القاسية، ثم تجاهلها ليقضم حلواه بعيدًا عنها، وتعبث أصابعه في التابلت الخاص

به وهو يحكي لوالدها عن آخر تجاربه، بينما هي تنتظره أن ينهي حلواه ليلتفت إليها لتعطيه قطعة أخرى من حلواها، لكنه حقًا لم يلتفت، مطلقًا.
أصابتها ذكرى الحلم برغبة شديدة في البكاء، شعرت أن السعادة التي أحست بها هذا اليوم زائفة، كسلحفاة عمياء صغيرة وسعيدة داخل دوامة قاتلة، صدرها كبالون مملوء بالهيليوم، تحسه خفيفًا يريد أن يأخذها بعيدًا بعيدًا عن الذكرى القاسية لحلم محنط مات موتًا مزيفًا.
قررت أن تعود إلى منزلها مشيًا على الأقدام فليس هناك حاجة إلى الإسراع، المشي يساعد على تخفيف حدة الهيليوم من قلبها عساه ينجذب إلى مكانه الطبيعي.. صدرها.
لم تكن تدرك أنها خائفة إلى هذه الدرجة.. بدا لها أصحاب الأطواق الحمراء مخيفين الآن، إنها ارتعبت للغاية، وهذا الضخم، لماذا بدا طيبًا كقرش شبع؟ لماذا تحدث بهذه اللهجة المصطنعة الغريبة ناظرًا بعمق في وجه رامي؟!
إنها خائفة وحزينة، إلى درجة أنها حسدت السلحفاة العمياء الصغيرة.
كانت أضواء المبنى الذي تسكن فيه مرشدة لها كأم تفتح ذراعها إلى طفل متشرد، دلفت إلى المبنى المضيء، نظرت إلى المرآة التي تغطي المدخل وحينها اكتشفت أنها كانت تبكي.
مسحت دموعها بسرعة، وصعدت الدرجات الخمسة التي تفصلها عن شقة والدها، طرقت الجرس، وفتح لها عائد..
الآن فقط يمكنها أن تعرف شعور الحيوان المحنط الذي بقي على وضعه منذ الأبد، هتف عائد:

- هل أنتِ جيدة؟ هل كنتِ تبكين؟

لماذا يذكرها الآن؟ كالدموع نزلت شلالات من عينيها وهمست:

- أنا خائفة.

مسحت شلالاتها، لتترك مساحة لأخرى تنزل منهمرة، سألها:

- لماذا؟

هزت رأسها مشتتة الذهن كدوامة ضلت طريقها نحو قارب شريد، سأل:

- هل تريدين الدخول؟

إنه سؤال أحمق، إن هذا منزلها، بالتأكيد تريد الدخول، فكر عائد وهو يتنحى عن الباب.

لكنها لم تتحرك، سألت:

- أوالدي بالداخل؟

رد بالإيجاب، سألته وهي تدخل:

- هل تحب حلوى الجلوكوز؟

نظر إليها كأنها قالت بأنها ترغب بالعودة إلى الأرض القديمة، سأل نفسه إن كانت قد شربت نجم البحر المعتق، إن أول مرة يذوقه فيه أخذ يبكي وينوح على والدته، ومن ثم انطلق يتحدث بالغباء، ولولا صديقه "زين" لكان قد فضح نفسه على رؤوس الأشهاد؛ لأن زين منعه من الخروج إلى الميدان ولعنة مقابر/ الإطعام.

قال برقة متقمصًا زين:

- أجل أحبها بالتأكيد.

اشتعلت عينا الفتاة بالإثارة، ودخلت قافزة. ظل عائد برهة واقفًا أمام الباب، لماذا تذكّر زين الآن؟

يا ترى أين هو الآن؟

يأمل فقط بماذا؟

تبع الفتاة إلى الداخل، وأغلق الباب مخلفًا ذكرى زين في الخارج تبكي من الضياع.

دخلت جميلا غرفتها وعندما وقفت أمام مرآتها أخبرتها المرآة كم هي حمقاء!

ما هذه الأسئلة الغريبة التي توجهها إلى عائد؟ ما الذي سيظنه عندما يراها منهارة بهذا الشكل الأحمق؟ لماذا جاءها إحساس بأن تمسك ذراعه وتجره معها إلى الخارج ليذهبا إلى أي مكان لتناول مشروب الطحالب الحار، ووجبة المرقة الطرية؟

لا يهم.. ليفكر كما يشاء.

إنها ستراه في الصباح على أي حال، إنه لن يغادرهم اليوم بل سيبقى..

تسرب الهيليوم من قلبها ليعود القلب إلى صدرها راكدًا بهدوء يستعجل الغد، وتمنت حقًا أن تتوقف السلحفاة العمياء عن الابتسام، وتتوقف الدوامة عن الدوران..

* * * *

لم تكن نومة عائد جيدة، لذا الاستيقاظ على مرأى فتاة أخرى تكاد تنفجر غضبًا دون سبب، بمثابة الجلد على المؤخرة. سأل نفسه: "ماذا حدث للفتيات؟"

في السابعة صباحًا، وبينما يعد لنفسه بقايا مشروب القرفة التي وجدها في خزانة المطبخ، سمع صوت الجرس المائي، فذهب ليفتح الباب، ليطالعه من فرجة الباب وجه فتاة أقل ما يمكن أن يقال عنها إنها تحتضن قنبلة داخل جوفها، أخبرته أنها تريد رؤية جميلا، فأدخلها وسألها عن اسمها فأجابت باقتضاب:

- والي.

أفسح لها لتدخل، ومن ثم تبعها، وقال وهو يرفع شعره الأسود الغزير عن جبينه:

- إن جميلا لا تزال نائمة.

نظرت إليه فقط وزوت ما بين حاجبيها بشك، قال بمرح:

- أترغبين في كوب من القرفة؟

سألت:

- قرفة!

قال:

- إنها مشروب أرضي، حسنًا ما رأيك بمشروب الطحالب الحار؟

هاجمت بعنف:

- من أنت؟

تراجع إلى الوراء وكأنها قذفته بأحد صواريخها:

- عائد.. أنا مساعد العالم فرح.

قالت وهي تتخذ مجلسًا وتنظر إليه بشك:

- لم تحدِثني جميلا عنك أبدًا.

تساءل عائد إن كان صوت التحطم الذي وقع بداخله قد وصل إلى مسامعها أيضًا، جميلا لم تذكره ولو قليلا عند واحدة من صديقاتها! لكن من قال بأنها صديقتها المفضلة؟ ربما هما معارف فقط، لكن الطريقة التي تتصرف بها الفتاة وكأنها في منزلها لا توحي بذلك على الإطلاق.

قال:

- على أي حال.. هل أنتِ جيدة؟

هزت رأسها وهي تنحني للبحث عن التحلية في الرف الداخلي للمطبخ:

- جيدة.

اعتدلت وبدأت تشرب، فعل مثلها، أحرجه الصمت فسأل:

- أي مجال يشغل والدك؟

قالت وهي تنظر إليه من علو:

- البراكين الخامدة والمشتعلة، براكين بحرية..

قال في نفسه لا بد أنك قد ابتلعت أحدهم عن طريق الخطأ يا فتاة، أجاب:

- يبدو مجالًا مثيرًا للاهتمام حقًا!

صمتت تمامًا، بينما اشتعل جوف عائد بالأسئلة، لماذا تغط جميلا في النوم هذه الليلة؟ هل هذه الفتاة المرتابة كزئبق صديقتها حقًا؟

أنهت الفتاة المشروب، وقالت بوجنة تشتعل بالاحمرار:

- سأذهب لإيقاظها إذًا.

غادرت بخطى تترك حممًا على الأرضية المسالمة وهتف عائد:

- ليكن العون في صفك يا جميلا.

قطعت والي الممر الذي يفصل بين الصالة وغرفة صديقتها، توقفت برهة أمام الباب ثم فتحته بسرعة فانتفضت الفتاة التي كانت تقف أمام الخزنة بعنف..

كانت جميلا تهم بخلع ملابسها التي اتسخت من أفكار البارحة السوداء، ولأنها كانت متعبة فقد نامت دون اهتمام بقواعد السلامة، وعندما فتح الباب ظنته عائدًا، لكنها فوجئت بمرأى صديقتها المشتعلة.

ظنت والي بأنها ستجد الغرفة سابحة في الظلام بينما تغط صديقتها في النوم، لكنها فوجئت برائحة قوية، رائحة رجولية منعشة ترقص في جزيئات النور رقصة غجرية مثيرة، رائحة تعرفها جيدًا.

اقتربت من صديقتها الساحرة وعانقتها بشدة. كانت الرائحة تخرج من الملابس شبه المخلوعة التي تعلقت بكتف جميلا.

بادلتها جميلا العناق بدهشة ولم تفهم سر هذه الحرارة التي تخرج من جسد صديقتها، ولا سر هذه الانتفاضة التي ترج جسد والي رجًا..

قالت جميلا:

- أيتها الحبيبة هل أنتِ جيدة؟

حاولت أن تبعدها لكن والي تعلقت بها بقسوة، كانت تستمد الحياة من هذه الرائحة الحلوة التي اعتادت أن تشمها كلما وقفت للتحكيم في مباريات الكرة الطائرة، وها هي صديقتها تستعد لخلع ملابسها دون إدراك بأن هذه الرائحة هي المصدر الأكسجيني الذي يهبها إمكانية مواصلة الحياة، يهبها ألا تنهار وتقتل نفسها في أي لحظة، إنها مستعدة لمبادلة روحها مقابل أن تلمس صاحب هذه الرائحة بالقوة نفسها التي تلمس بها صديقتها..

قالت جميلا بجزع:

- والي، والي، ما الأمر؟

انفجر البركان الخامد الذي تنبأ عائد بوجوده، انهار من الحمم سقطت من عينيها وألهبت الصدر الذي كان يحتويها، وأحرقت القميص الذي يضم الرائحة الغالية، وأشعلت آلاف التساؤلات في ذهن صديقتها المشوش.

أخيرًا.. تبتعد والي، تمسح حممها في راحتها لتعيدها مجددًا إلى مصدرها، جلست على السرير، وقبعت صديقتها إلى جوارها تربت على شعرها وذراعها، وتتمتم بتهويدات لإبعاد الشر الذي يتلبس صديقتها المفضلة.

قالت والي بين دموعها:

- لم تخبريني عن عائد أبدًا.

هتف صدرها يا للغباء، لقد أنستني وجوده كليًا.. هل غادر؟

قالت جميلا:

- لم تتح لي الفرصة. هل هو في الصالة؟

هزت والي رأسها.. تحدثت جميلا:

- إنه مساعد والدي و...

قالت والي:

- إنه مثير..

نظرت إليها صديقتها بغباء، مثير! والي تقول عنه مثير! اللعنة ما الذي يحدث في العالم؟

أكملت والي:

- مثير للاهتمام.. إن شعره رائع، ولديه عينان ساحرتان حقًا..

قاطعتها جميلا وهي تبتعد إلى الخلف قليلًا:

- أرجو ألا تكون إثارته للاهتمام هي ما يبكيكِ!

تنهدت والي وقالت:

- لا.. ليس السبب.

نظرت جميلا في عينيها وقالت:

- أنا أسمعكِ.

ماذا يمكن أن تقول لها؟ أنا فقط أحب رامي الذي يحبك وتحبينه وأريده لنفسي حتى تكتمل حياتي!

قالت:

- إن أخي يواجه مشكلة عصيبة.

سألت ميلا:

- أخوكِ! ألم يحصل على رقمه منذ فترة؟

قالت والي:

- أجل. لكنه قد ترك وظيفته التي رشحتها البلدية، والآن يبحث عن أخرى، إنه مطارد لأنه عاطل.. إن فترة السماح بالعطالة تتقلص حقًا. وأنا، وأنا خائفة جدًا عليه..

قالت جميلا:

- ألم يحصل على درجة اختبار في العلوم؟

قالت والي:

- أجل..

اقترحت جميلا:

- لمَ لا نقول لعائد ربما يجد له عملًا؟

نظرت والي إليها وقالت:

- حقًا؟

قالت جميلا وهي تقوم وتكمل خلع قميصها، وتخلع حمالتها:

- أجل إنه لطيف.. سيساعده.

تابعت والي انحناء جسد صديقتها وأدارت رأسها لتنظر إلى الجانب الآخر من الغرفة، إنها ليست مثل جميلا.. ولن تكون أبدًا مثلها، ولكنها تحبها ربما أكثر مما تحبه جميلا، ويمكنها أن تقدم له أكثر مما يمكن أن تقدم له جميلا..

لكنه أحمق كسمكة سيف نزلت بقايا حمم من عينيها الزمردية اللامعة، وفكرت بأنها يمكن أن تجبر نفسها على كراهيـ...

هتفت جميلا:

- انتهيت، لنذهب.

قامت والي من مكانها ورأت الإثارة في عيون صديقتها مما زادها إشعاعًا، وقالت لنفسها مقررة: "لن أكون أبدًا مثل ميلا، ولأنني أحبها للغاية سأكرهه."

تسبقها الإثارة اندفعت جميلا إلى حيث يجلس عائد غافيًا على الأريكة البحرية التي ظهرت في السنة الخمسين لإعلان ميلاد العالم الجديد،

وأعطت هدية لكل سكان العاصمة احتفاء بالانتماء إلى المياه واضعًا رأسه على ذراعيه، يأخذ عائد إغفاءة قصيرة بانتظار زيارة الاستيقاظ لسكان المنزل المضيف، ينتفض فزعًا على صرخة جميلا:

- استيقاظ سعيد يا عائد.

من الرائع أن تصحو على صوت كشدو المويجات في بطن الحيتان الصغيرة، ولكن الفزع من ابتساماتها النابية ليس جيدًا.

دعك عينيه وهتف:

- استيقاظ سعيد. أين صديقتك؟

جاءت الفتاة على الأثر تجر أقدامها وكأنها تلتصق بالأرض بفعل جاذبية أقوى من الجاذبية الصناعية التي وضعت في العالم الجديد من أجل عدم الانجراف مع المياه المحيطة.

قام عائد دون أن يلتفت إليهما وقال:

- يجب أن أغادر، لدي الكثير من الأعمال.

قالت جميلا بإحباط:

- كلا.. ابقَ.

نظر إليها غير مصدق، إنها تطالبه بالبقاء وربما! أكملت بسرعة:

- صديقتي تريد مساعدتك.

تنهد وقد انتقل إحباط من نوع مختلف إليه، ولنصف ساعة كاملة أولى خلالها عنايته التامة للفتاة البائسة التي جلست أمامه تحدق من خلاله عبر الفراغ الأثيري، وتعبث بشعرها القصير، وتحكي عن أخيها المطرود.

أولى عائد اهتمامًا بأخيها، إذا كانت صادقة كما تشير أسورة معصمها التي كانت تعطي ضوءًا أخضر اللون باستمرار فإن أخاها ذو مؤهلات عالية، ومن الممكن أن يفيده للغاية.

أخذ يستفسر المزيد حول أخيها "فاد"، ومن ثم طلب مقابلته بعد أن وعدها بأن ينظر في أمره بنفسه.. والغريب أن الفتاة ظلت على شرودها بعدما طمأنها عائد، لم تلاحظ حتى أنه قام من مكانه وانجذب إلى رائحة الطعام التي تعدها جميلا باستخدام الفرن السريع الإشعال.

وقف خلفها، واستطاع سماع المحاكي الذي أدارته والي لتسمع أي شيء بدلًا من ضجيج الفراغ الذي يحيط بها.

كان التقرير يذيع أحد الأنباء.. جميلا تعمل بعصبية دون أن تنتبه إلى الشاب الذي يقف خلفها، أخرجت اللحم الأبيض المدخن من الثلاجة، وأخذت تبحث عن مغلف طحالب السوشي من أجل إعداد عجة خضراء. انتصبت واقفة بعنف لاعنة الوقت الذي استغرقته لوضع التاتو المعطر اللامع الذي ذهب هباء، وتساءلت لِمَ لَم تضعه بالأمس في النزهة الساحرة التي ذهبتها مع رامي؟

وقفت تحدق إلى ذكرياتها المجنونة التي بدت وكأنها تسبح مع الدخان الأبيض الذي يغلف الأطعمة من الداخل، قال عائد:

- إلى متى سوف تحدقين في الطعام؟ لقد أغلق الفرن النار على ما بداخله، الذي يكاد يبرد من دخان الثلاجة البارد بالمناسبة.

التفتت إليه يغلفها الدخان، أغلقت الباب بقدمها، وسألته ببرود:

- أليس لديك ما تفعله مع والي؟

وأكملت بداخلها إنها تراك مثيرًا للاشمئزاز..

قال:

- أأساعدكِ؟

أمسك الورق الأخضر وقطعه قطعًا صغيرة ذات أطوال متساوية، أشعل الفرن ووضع الأوراق الصغيرة على طبق مسطح زجاجي مقاوم للحرارة، وبعد دقائق وضع اللحم الأبيض المدخن، ورش بعض الفلفل الحلو وتركه ينضج.

أراد بعض زيت كبد الحوت من أجل الرشة الأخيرة.. كان خلفها مباشرة، اقترب منها جدًا فتوقفت يداها عن العمل ترقبًا، اقترب أكثر، فاتسعت فتحتا منخارها خوفًا، مد يده إلى الخلف فبدا وكأنه يعانقها بذراع واحدة، همس:

- هل تسمحين لي؟

أجابته عيناها بالإيجاب، فظل مندهشًا من ثباتها، قال وهو يقسم بأنه يسمع صوت أنفاسها المضطربة:

- أمممم.. ربما عليك التحرك قليلًا إذا.

همست:

- ماذا؟

اقتربت من صدره الذي بدا كمنزل حنون.. فرد مبتسمًا:

- أريد الزيت.. إنه خلفك.

وكأنه وجه إليها صفعة وهي تحلم، هربت عنه إلى الجانب الآخر، إنها لا تكره في حياتها شخصًا لكنها مستعدة للغاية بتجربة هذا الشعور فيه.

تركته في المطبخ وذهبت إلى والي التي كانت تتسلى بتعلية الصوت وخفضه دون أن تدرك ما الذي يعرض على الشاشة.

جذبت منها جميلا الجهاز المسكين حتى لا تتلفه أصابعها الثعبانية. كان التقرير يذيع نبأ المفاوضات الخاصة بين الأرض القديمة والعالم الجديد بشأن رغبة العالم الجديد بأخذ الجزء المنفصل من القارة الجنوبية فيما يطلق عليه اسم "أرض أ" من أجل التوسع في العمران.

بدت والي صامتة سألتها جميلا:

- هل ترغبين بالطعام؟

قالت والي بأنها جائعة كقرش في مقبرة عجفاء.

ترغب العاصمة في إنشاء المقاطعة الحادية والخمسين، ومن أجل التوسع سيتوجب إغراق الجزء المتبقي من القارة الجنوبية؛ بسبب ارتفاع منسوب مياه البحار عند ضغط الماء إلى أعلى.

عدلت جميلا وضع الأرائك المملوءة بالمياه الدافئة، وعدّلت درجة حرارة الغرفة، نظرت إلى والي وسألت إن كان عائد ينظر إلى وجهها طوال النصف ساعة الماضية؟ تمنت لو تغادر صديقتها في الحال.

قالت:

- والي.. هل تصالحتِ وسايد؟

أجابت الفتاة بالإيجاب:

- إنه صديقي المفضل.

ولأن الجزء المتبقي من القارة يحمل موقعًا مقدسًا بالنسبة لمحاربي الشناعة الخامسة، أو ممن تبقى منهم على أي حال؛ فإن المفاوضات

تجري بهذا الشأن ببطء رهيب. ويبدو أن حكومة العاصمة المركزية مستعدة لتقديم اقتراح جديد هذه المرة، وسيعرضه عليهم.

أنهى عائد إعداد الطعام وأسهمت جميلا بنقله إلى المائدة المستديرة، استيقظ العالم فرح بحالة سيئة تجرع على إثرها كأسين من معتق نجمة البحر.. فلم يأكل شيئًا وإنما شاركهم المائدة، ورحب بوالي ترحيبًا فاترًا؛ فواجه نظرة عدائية من جميلا، لكن الفتاة الصامتة على غير العادة لم تهتم حقًا.. لقد اعتادت أن تلقي تعليقاتها حول كل شيء، وفي المرة الأخيرة أخبرته بصراحة بأن المعطف الذي ظهر به في المحاكي كان قبيحًا جدًا وكأن دولفينًا قد بصقه لتوه.

كان يسبح في مستنقع أفكاره الخاص، ولأن لكل مستنقع رائحته فلم يهتم أحد بتتبع الرائحة التي تظهر في المستنقع الآخر.

انتهى التقرير بنتيجة لم يسمعها أحد من الغارقين في لا جدواهم العفنة، وتبعتها موسيقى حديثة ذات آلالات تئز أزيزًا يهدئ الأذن في حالة ما إذا كانت توليها اهتمامًا.

سأل العالم فرح عائدًا:

- كيف هي أبحاثك؟

قال وهو يلتهم اللحم الابيض:

- جيدة.

سأله فرح بخبث:

- هل من جديد؟

نظر عائد إليه وقال بابتسامة:

- المشروع الثاني والستون يحقق هدفه جيدًا.. لقد أعلنوا زيادة قوة الضغط في المناطق النائية ذات التربة المهتزة في الأعماق.

قال فرح مباشرة:

- أرجو أن تكون قد صرفت نظرك عن الحماقة التي أردت أن ترتكبها.

نظر عائد إلى طبقه، وابتسم لأنه لا يرتدي سواره الآن:

- بالتأكيد.. أنت تعرفني.

قام فرح من مقعده، ووضع كوب مشروبه بعنف وقد احمر خداه:

- جيد لأنني بحاجة إليك في مشروع آخر، أرجو أن تكون متفرغًا تمامًا.

فكر عائد في نفسه:

- لقد جاء "فاد" في وقته بالضبط.

* * * *

عدم الانتماء.. هذا هو الخاطر الذي يداعب عنق فاد منذ البارحة، كتلك الربطة المزيفة ذات اللون الفسدقي القبيح اللامع التي تعد الأسلوب الحديث لملابس الباحثين عن حياة الجد هذا العام.

لونها مثير للاشمئزاز كشم رائحة أنفاس السكارى في الحانات الأرضية وهم يتظاهرون بأنهم يتجرعون مشروب السماء، المرادف لمشروب نجمة البحر هنا.

أراد أن يقتلع عنقه ويلقي بها بعيدًا عندما دخلت والي لتصرخ بحماس:

- تبدو رائعًا للغاية فاد.

قال لها بصدق وهو يتحسس القماش الخشن المصنوع من مادة بحرية ما:

- إنها تصيبني بالحكة.

قالت والي وهي تعدل وضعها حول عنقه:

- هيه! تماسك.. إنها مجرد مقابلة، وأنا أضمن لك بأن تقبل. إن عائد مثير للاهتمام حقًا.

ترك الأمور على ما هي عليه، من الأفضل أن تترك الأمور على ما هي عليه حتى لا تسوء أكثر، إنه شعار الأرض السياسي، لا يزال لا يستطيع التفكير في الأرض على أنها "قديمة"، فعلى الرغم من أنه قد سعى إلى بلوغ هذه المكانة التي لا يحصل عليها الأرضيون بسهولة فإنه يشعر بأنه غواص أجبر على البقاء في بيت قطبي حتى تنتهي عاصفة رملية عنيفة.

لم يشعر بالرغبة في تناول الطعام، غادر فقط يجر خيباته بيده، وأحلامه تتقافز حوله كأطفال صغار حليقي الرؤوس ومقطوعي الأيدي، يجرون حوله ولا يمسكونه.

إنه لن يجعل تضحية والدته تذهب هباء، لقد أرادته أن يعيش في هذا العالم، وألا يلتحق بالجنود الإلزاميين حليقي الرؤوس، فهربا من المركز وانتقلا إلى إحدى جزر الأقمار يتبعهم الحظ حينًا ويتخلف عنهم أحيانًا أخرى.

إنه لن يركب المكوك أبدًا.. حاولت والي أن تقود ببطء لكنه أغرق الأرض بالقيء يومها واضطرا إلى دفع غرامة تلويث بيئية غالية.

سيركب مواصلة سهلة تقله إلى هناك، لا بأس بالقطار المعلق إنه يسير في أنفاق فلن يشعر بالهوة بينه وبين الآخرين كما يشعر بها كلما اضطرته الظروف إلى الذهاب إلى العاصمة عن طريق التلفريك السريع، يكفيه شعور بالعلو، إنه أرضي كجرذ قذر جاء لمضايقة القطط المكتنزة على قطعة جبن فاسدة.

كانت المحطة شبه فارغة فالجميع في إداراتهم يعملون، بينما كأنه الوحيد الذي يتسكع هنا دون عمل.

ليس من الطبيعي أن تكون عاطلًا هنا، إنه سيتعرض للمساءلة إن انتهى اليوم الثالث عشر دون أن تعلن أسورة معصمه عن حصوله على عمل شريف.

من الغباء أن تعلق في يديك جاسوسًا صغيرًا يتتبع حركاتك أينما توجهت، إن كل خطوة هنا بحساب، والحصول على رقم اختبار بمثابة توقيعك إقرار على موفقتك عن التخلي عن إنسانيتك نهائيًا، والاستسلام لحياة العبودية الذهبية المترفة.

كان السوار المعدني يوحي إليه عندما ارتداه للمرة الأولى بأنه يجلس تحت أشعة ترسلها أيادي الآلات المعدنية من أجل تشريحه ومعرفة مما يتركب جسده.

القطار يسير بسرعة معقولة، أو ربما هو قد اعتاد هذه الانفجارات الخارقة التي تتعدى السرعة إلى درجة أنه لم يعد يشعر بها وهي تطيره معها، قديمًا كذاكرة منسية لرجل عجوز خرف كان يضطر لاستخدام سرعة أقدامه الخاصة من أجل الهروب، ووالدته من العاصمة الكبرى حتى لا "يحلق شعره"، وهو مصطلح يطلق على التجنيد الإلزامي لشباب العاصمة متى بلغوا الرابعة عشر.

لكن الآن يهرع من أجل ألا يطرد مرة أخرى إلى عالم الركض القدمي المميت، لن تعطيك الحياة إلا ما ستنتزعه منها بالقوة، هذا ما اعتادت أن تقوله له أمه التي انتزعت حياة ابنها من براثن الموت، وضحّت بحياتها

هي.. تساءل الآن إن كان يستحق هذا الغباء! غباء توقيعه عقد احتكار مع الحياة. إن الأمور لا تستحق المحاولة لو سأله أحد رأيه.

أوصله "GPS" المعلق بسواره إلى موقع معمل عائد، إنه قد وصل إلى النهاية، حيث تتحقق أحلامك أو لا، لقد ترك عمله القديم من أجل أن يستلب فرصة كهذه، لابُد أن والدته فخورة جدًا به الآن.

دلف إلى المبنى المبهر كقمر يحتفل بالعيد محموم الخطى، منفلت الجأش، وصل إلى الباب نظر إلى الساعة.. لديه عشر دقائق على الموعد الحقيقي، استغلها جيدًا لتجفيف العرق الغزير الذي يلعق ظهره ككلب وفي.

فتح الباب برقة ودخل، كان المكان كبركة ترتع فيها الحشرات المضيئة، مئات من مرتدي المعاطف السوداء المضادة للإشعاع يروحون ويجيئون بتنظيم أقرب إلى تنظيم إلهي لحركة المجرات التسعة.

أعطته فتاة أو رجل لا يعرف على وجه الدقة معطفًا، سأل عن معمل عائد فأشار الكائن ذو الخوذة إلى اليمين وهو ينظر بتمعن في الشاشة الخضراء أمامه، استطاع فاد تمييز مقطع طولي من كروموسوم طحلب جاف.

طرق الباب ودخل تتقدمه الرهبة التي أخذت تتلوى أمامه على الأرضية السيراميكية اللامعة، فكرت أقدامه في تضحية أمه فوطأ الرهبة فأنت بصمت تعض شفاهها التي سالت منها دماء الشجاعة التي امتصتها منه.

كان العالم الشاب ينظر بعمق في مجهر ضخم ذي عدسات متكررة، فكر فاد بأنه إن كان يستخدم العدسة السداسية الخضراء الصغيرة في النهاية فهو يفحص "DNA" ويتعرف على خصائصه، وإن كان يستخدم العدسة

المثمنة فهو بالتأكيد يرى إمكانيات التحور الناتجة عن خلط "DNA" بين الإنسان والحيوان.

رفع عائد عينيه وتفحص الشاب الواثق أمامه لهنيهة قبل أن يخلع الجدّيَّة ويرتدي قناع الابتسام على وجهه.

اقترب من الشاب الذي مد يده وربت كتفه الأيمن، بينما رد عائد التحية وربت كتفه الأيسر، وسأله عن أحواله فأجابه بالخير، ومن ثم دعاه إلى الجلوس فجلس في مواجهته.

مثير للاهتمام... هذا ما أطلقته والي على هذا الشاب المضيء كشهاب خطير يقترب من اليابسة.

مثير للحكة، هذا ما فكر فيه فاد عندما كان يجيب على أسئلة المساعد الشاب، كانت ربطة عنقه كالحشرة المُثارة التي تبحث عن أليفها، فترقص وترقص وترقص علّ أحد أبناء جنسها الذكور ينجذب إليها، لكن المواد الإشعاعية النووية قضت على الجزء المتبقي من ذكور الحشرات، فتحولت كلها إلى مجموعة من الشواذ المخنثين ذوي الأعين العمياء والأجنحة اليسرى المقطوعة..

" إنه DNA متحور.. يمكنك معرفة طور التحور من خلال مراقبة الحمض وهو يتحول إلى اللون الأسود وسط هذا الغاز، ولكنه تحور "موهم" لأن الغاز متأثر بوجود تيار من الأكسجين النقي."

نظر عائد بدهشة إلى هذا الشاب المتصبب عرقًا، الذي يبدو وكأنه مصاب بمرض معوي ما، وهتف:

- كيف عرفت بعدم نقاوة الغاز؟!

لم يكن فاد يرغب في إلقاء أوراقه كافة أمام هذا الشاب الذي يدفعه إلى الشعور بالحكة غير القابلة للهرش، إنه يثيرها في عقله.. من الممكن أن يعملا معًا في تناغم لكن في حالة إذا سمح له بخلع ربطة عنقه سيقبله على طرف أنفه شاكرًا... إنها لغة الامتنان في عالمه القديم، ويرى بأنها من أصدق لغات الامتنان.

قال فاد بتردد:

- لأن الجين تحول إلى اللون الأسود على الرغم من وجوده في البيئة الغازية الملائمة؛ كان من المفترض أن يتحول إلى اللون الأسود الباهت إذا...

لم يقتنع عائد.. من الممكن أن يكون اللون الأسود مراوغًا تمامًا كالعشق البائس، لكن هذا الشاب يخفي شيئًا.

فكر فاد بأنه إذا خسر ثقة عائد فلن يحصل على الوظيفة وهذا يعني مص عظام الأم الميتة، واستخلاص طعم مرارة التضحية من أنسجتها.. وهو على أي حال يكره طعم العظم البشري.

قال مجددًا:

- يمكنني معرفة ذلك عن طريق حاسة الشم..

ابتسم عائد بثقة، وبدا له هذا الرد أكثر إقناعًا من سابقه، سأله:

- ما رقم اختبارك؟

أجاب الشاب وهو يستغل فرصة تحويل عائد عينيه إلى الشاشة الخضراء التي تعلن نتائج الجينات المتكررة من الكروموسوم، وقام بتخفيف ربطة عنقه، هناك شيء لزج على قفاه، اتسعت عيناه وأجاب:

- عشرة.

نظر إليه عائد وهتف:

- وما نتيجة الموهبة؟

قال وهو يمسح قفاه بظهر يده بطريقة بدت وكأنه يقوم بهذا من أجل أن يتذكر:

- سمع قوي غير متأثر.

من أي جحيم أتت هذه اللزوجة العفنة؟ أكمل:

- أمممم.. غير متأثر بإشعاع "SOT" ومقاوم له.

هل كان عائد يدخل هذه البيانات، أم مشغول في عالمه؟ وهل هذه قوقعة الموز التي سارت بطول قفاه وتركت برازها اللزج هذا؟

قطب ما بين حاجبيه وكأن أمنيته في الصغر كانت التصاق العينين معًا في مقدمة الرأس.

ابتسم عائد وكأنه رأى لتوه فتاة استعراض عارية تسير في شاشته، وقال:

- أوه إنك رائع للغاية! هذا بالضبط ما أحتاج إليه.

لم يصدق فاد أذنه، هل يقبل أنف المساعد الشاب أم لا؟

اكتفى بأن هز رأسه امتنانًا، وأولاه وجهه بالكامل مبتسمًا ناسيًا أمنية طفولته البائسة، وقال:

- أنا سـ سأكون، سأُشرف بالعمل معك يا معلمي.

ضحك عائد، ومد يده مصافحًا إياه داعكًا إصبعه الأصغر في راحته علامة الرضا، قال فاد بتحرج:

- هل من الممكن أن تقدم إليّ معروفًا؟

أجابه عائد بالموافقة، قال فاد موليًا إياه قفاه:

- هل ترى حيوانًا يبول في قفاي؟

* * * *

طالبها بالبقاء قليلًا، كحوت رمادي ضخم يحاول التشبث بمويجة عابرة من أجل الحصول على الأكسجين ادعت الانشغال، ربما تبدو تعابير رامي غريبة بعض الشيء منذ ذلك اليوم الذي ذهبا فيه إلى حديقة المياه معًا، لكنها حقًا لم تنتبه إلى ذلك.

كسمكة طائرة هرعت إلى منزلها، لم تفكر وهي تركب المكوك السريع الذي تستأجره لمدة شهر في أن الطريق يبدو خاليًا، وأن البلدية تحاول إدخال التحسينات على المبنى المتداعي بسبب نقص التربة تحته في السابق، ولا تلك اللوحة الصغيرة التي تومض بجنون كل بضع ثوان معلنة عن رحلة مخفضة التكاليف لزيارة المدينة السياحية على سطح القمر لمدة شهر. لم تلاحظ ذلك، ولكنها عندما اضطرت إلى انتظار الإشارة راقبت طفلًا صغيرًا يسير إلى جوار والده، كان يرتدي معطفًا واسعًا عليه، إنه المعطف الطيار الذي ظهر منذ عشر سنوات، ويمكن فتحه كبراشوت، إنه من المنطقة السابعة، المنطقة الجبلية الساحرة التي تقبع منازلها التي تمثل الطراز المعماري الفني الأوروبي العتيق قبل الشناعة الخامسة.

رفع الوالد ابنه عاليًا ومن ثم قذفه بقوة إلى الأعلى، لكن فاتتها مشاهدة القفزة البراشوتية التي سوف ينفذها الصغير إذ سمحت الإشارة بمرور المكوك، وتوقف المواصلات.

وصلت إلى منزلها والضباب يغشي عقلها، تسيطر عليها فكرة واحدة: "هل سيتمكن الصغير من تنفيذ القفزة بمعطفه الفضفاض، أم هل سيسقط وتتلقفه أذرع والديه الحالمة كمداعبة أخطبوط حنون؟"

خلعت ملابسها سريعًا، وضعت شيئًا ما على جسدها، ومن ثم ارتدت المعطف الأسود المضاد للإشعاع، اتجهت إلى المطبخ في خطى ترقص، عقلها يصدح بصوت مغنيتها المفضلة "أرجونا":

بلا لا لا لا لا لام.. عندما ينخفض المد..

بلا لا لا لا لا لام.. وتصبح الأرض رطبة..

لا لا لا.. حينها فقط ..

ستعرف طعم عناقي المحمص..

فتحت الثلاجة وأخرجت قطعًا صغيرة من الجمبري المقرمش، وضعتها في الفرن، سمعت صوت جهاز استدعاء الطابق العلوي حيث معمل والدها، أجابت بسرعة:

- أبي.

قال العالم:

- جميلا.. أنتِ هنا! جيد. هل يمكنك الصعود إلى أعلى لمساعدتي؟

قالت بلهفة:

- طبعًا يا أبي.

قال ممتنًا:

- حسنًا غالية أنتظرك.. لقد أرسلت عائد لبعض الأعمال ولم يأت حتى الآن، لذا أنا ضائع تمامًا. جميلا..

همست:

- نعم..

قال قبل أن يغلق الجهاز:

- لا تتأخري.

أصدر الفرن صوتًا كسقوط نقطة ماء عكرة في مستنقع موبوء، فتحت الباب، أخرجت القطع المقرمشة اللذيذة، ألقتها في ممر القمامة، وغسلت يدها.

غادرت الشقة وأغلقت الباب خلفها فانغلقت كل الأنوار تلقائيًا، ورأت الضوء الأخضر على الباب الذي يدل على عدم وجود أحد في المنزل.

أخذت المصعد الكهربائي إلى الطابق الثالث، انتظرت حتى توقف وخرجت ثم سارت بطول الممر إلى حيث باب المعمل، راقبت اللوحة التي كتب عليها اسم والدها، وفكرت بأن هذه اللوحة تشبه تمامًا تلك الألواح التي وضعت على زجاج الحيوانات المحنطة من أجل التعريف بها، كانت اللوحة تومض باللون الأحمر وهذا يدل على أن والدها يتوقع دخول أي كان في هذه اللحظة؛ لأنها لو ومضت باللون الأسود فهذا يدل على أن والدها بصدد تجربة مهمة، ولا يمكن حينها أن يدخل أي شخص إلى الغرفة قبل أن تتحول اللوحة إلى الأحمر مجددًا.

فتحت الباب ودلفت ببطء، قالت بتكشيرة أرادت أن تكون ابتسامة:

- أبي ها أنا ذا..

نظر إليها الأب وقال:

- أخيرًا.. هل يمكنكِ أن تحضري لي أدوات ٦٦ بي، بسرعة!

حاضر.. هذا ما دار في عقلها وترجمه جسدها إلى اتجاه الشمال، حيث قبعت مجموعة من الأدوات باستسلام تترقب لمساتها الحانية.

أمسكت عبوة المحلول الأحمر بقسوة، وسكبت مقدار أنملة في حوض زجاجي شفاف، انتظرت دقيقة تسلت خلالها بصفع العبوات المتراصة على وجنتيها المنفوخة، تحول السائل إلى اللون الأزرق، وضعت بسرعة ورقة سوداء لتراقبها وهي تتبخر داخل الطبق الشفاف.

أمسكت ورقة أخرى سوداء بملقط معدني سخنته على النار الزرقاء المندفعة من أنبوب طويل بمقدار إبهام، وأنزلت الورقة الثانية في الحمض لثانية ورفعتها لتأخذ الورقة اللون الأبيض الشفاف، ثم أنزلتها بسرعة ورفعتها كسادٍ يمارس التعذيب، صارت الورقة كأنها مجموعة من جزيئات الهواء المتجمدة، لو لم تقم بهذه التجربة من قبل للمست الملقط الساخن لتتأكد من وجود الورقة التي كانت فاحمة وصارت الآن بلون الهواء وخفته.

وضعت التجربة في طبق صغير جدًا، وسلمته إلى والدها الذي ابتسم إليها من خلف قناعه فلم ترَ البسمة.

عادت إلى أدواتها ونظفت المكان، وجدت أن والدها استغرق تمامًا في تجربته وأغلق الباب مطبقًا اللون الأسود الذي يمنع الدخول.

ابتعدت قليلاً تاركة والدها يلهو بأدواته الغريبة.. كان جهاز والدها على الطاولة البعيدة، نظرت في شاشته السوداء فوجدت الملل يطل عليها، وفجأة وصلت رسالة.

كانت غريبة المضمون: "هل أنت متأكد من أنك ترغب في إلغاء الطلب الذي قمت به قبل شهرين؟"

ويوجد مربعان أحدهما (I DO) والآخر (I DON'T).
ما الطلب الذي أرسله والدها ومن ثم تراجع عنه؟ أهو شيء يتعلق بالمعمل؟ أم شيء يتعلق بعائد؟
طالبها والدها بإعادة التجربة ٦٦ بي مجددًا؛ فاتجهت تجر أقدام الهلام الأزرق التي تخرجه أسماك الجيلي وأعادت التجربة.
فكرت أن امتحان التجارب النباتية سيبدأ بعد أسبوع، وهذا يعني الوداع للمدرسة الثانوية.
إنها لا ترغب في الالتحاق بالكلية، إنها فقط ترغب في الحصول على أي رقم اختبار ومن ثم تبحث عن مهنة مناسبة ممتدة الأجل.
ربما ستخيب رجاء والدها، لكنها تسعى إلى الكسل قليلًا، لقد حصلت على درجات جيدة في المواد الأخرى، وهي متأكدة من أن رقم اختبارها لن يقل عن عشرين، ستختار مجال تزيين العمارة، إن لديها مشروعًا في رأسها تريده أن يتحقق، وستقوم به من أجل الحصول على درجة اختبار مشرفة..
لكن كل ما تريده الآن هو أن تختفي كهذه الورقة السوداء لبرهة، أن تتكاسل قليلًا لتحلم، منذ مدة طويلة لم تستخدم جهاز القراءة ويبدو أن عقلها أوقفته الدراسة عن اختراع الصور والحكايات.
إنها تشعر بأنها متعبة جدًا الآن.. إن الراحة تناديها، انتهى والدها من التجربة، خلع قناعه، راقب وجهها فهتف:
- يا للبحار! إنكِ مرهقة بحق، اذهبي للراحة، سيأتي عائد بعد قليل للمساعدة.

قالت:

- أبي إنني بخير...أمم ما رأيك بأن أنظف لك المكان؟

شهر كامل مضى على عائد وهو يغرق نفسه في لجج العمل ومساعدة العالم فرح، إن تجربته النبيلة ترقد كامرأة جميلة مغرية ولكن مصابة بطفح جلدي في عنقها منتظرة العلاج، وفاد هذا المساعد الأرضي المرتقي الساحر يجلس ببرود مراقبًا انحناءات جسدها المثيرة غير قادر على الاقتراب وإلا أصيب بالعدوى المقرفة.

لم يستطع أن يبدأ العمل، هذا العالم الأبله الذي يشغله بأمور تزيد من حيوانية العائشين في هذا العالم المقزز الذي يتربع فيه.

كان مساعده ساحرًا، إنه يتذكر أن الانطباع الأول الذي أصابه عندما سأله الشاب ذو الملامح العجيبة، سؤاله الأعجب هو الانفجار بالضحك إلى درجة أن المساعدة "ناسر" خرجت من معملها، ويراهن عائد أن حاجبها الأشقر الكثيف ارتفع حتى لامس رأسها المحلوقة.

إنه متضايق للغاية، لقد استغل الفرصة التي طالبه بها العالم فرح وهي أن يذهب لتقديم التماس من هيئة العلماء للحصول على عنصر الزولو المشع..

وقد عرج على مخبره ليجد فاد قد وقف لتقليل درجة الحرارة إلى صفر مئويًا في البرادة الخامسة كما طلب منه تمامًا.

لا يحب فاد التحدث عن الأرض، ويرفض وصفها بالقديمة، أخبره فقط بأنه ترك جزءًا من اسمه هناك، وهذا ما قدمه للحياة في الجانب الآخر من العالم، الفردوس المثالي كما يطلقون عليه هناك.

وكانت هناك تعني الأرض حيث نفي زين يومًا ما.
انتابت عائد رغبة مجنونة بسؤاله عن زين، وكأن أهل الأرض القديمة كلهم يجب أن يكونوا على علم بزين، لكنه كان يخرس سؤاله في اللحظة الأخيرة.
كانت الأمور تسير على ما يرام، جزئيًا على الأقل، يقول عائد لنفسه مذكرًا: "طلبات محضرة جيدًا تعني بداية جيدة تعني نجاح التجربة."
ذهب بالأمس إلى إحدى الفتيات السعيدات وطلب منها أن تكون وعاءه الجيد، وافقت فرحة بعد أن وعدها بأن يرسل مذكرة تحسين ترفع رقم اختبارها، ولكن عند إجراء الاختبارات الأولية، وجد أنها أصيبت بمرض السرطان وهي صغيرة، وعلى الرغم من أنه ليس بالمرض الخطير فإنه يخشى من عدم مثالية التجربة، أو ربما يؤثر هذا العرض في كفاءة عمل جين مكافحة الأمراض.
دخل إلى المعمل حيث يتوقع أن يترك العالم مخبره في فوضى ومن ثم يقوم هو بالتنظيف، كأنني خادمة أرضية لعينة، هذا ما دار بخلده عندما دلف إلى المعمل بعصبية.
كلا لم يكن العالم هو الذي يقف بهذا المعطف الأسود وقد أولاه ظهره، والجدير بالذكر أن المخبر كان في غاية النظافة..
قال وهو يضع المعطف على كتفيه:
- أنتِ هنا يا جميلا! اعتقدت أنكِ قد غادرتِ..
التفتت إليه، يكاد يقسم أن تعبيراتها ليست مرحبة بالمرّة، إنها دائمًا لا ترحب به، وتوليه ظهرها كأنها خادمة أرضية لعينة.. أوبس! لقد فكر في هذا الأمر مرتين بالفعل، إنه يفقد تركيزه، إن نظراتها تفقده عقله، أو ربما

كانت تفقده عقله، لقد عاهد نفسه بشرف أمه المأكولة بألا يلتفت إلى هذه الفتاة المتكبرة كسمكة شوكية تنفش نفسها بالهواء لكنها سمكة رائعة بالفعل، ولكن تظل خطيرة في النهاية.

سألته ببرود:

- أين كنت طوال هذا الوقت؟

مهلًا.. هل يسمع صوت عتاب؟ من تظن نفسها؟ أمه؟ ألا يكفي والدها الأحمق؟ نظر إليها مفكرًا في رد قاس يلائم حالته المزاجية، لكنه وجد نفسه يهتف فيها:

- جميلا.. هل أنتِ جيدة؟ إن وجهكِ شاحب للغاية.

وهنا سمع صوتًا وكأنها ورقة المعادلة الحمضية السوداء عندما يتم نقعها في محلول القوة الأحمر، ومن ثم تتبخر..

احمرت وجنتاها بشدة وهي تقبض على بطنها مانعة معدتها من إعلان التمرد طلبًا للطعام، ضحك حتى ظهرت لهاته اللطيفة، وقال:

- أيتها الحمقاء منذ متى لم تدخلي الطعام إلى جوفك؟

همست:

- منذ الأمس تقريبًا.

قال وهو يمد يده ويسحبها من معصمها:

- تعالي هيا.

جذبها تقريبًا إلى المطبخ ووقف هناك كربة منزل ممتازة يطهو الجمبري، أعطاها طبقًا التهمته بسرعة، سألها وهو يحرك الصلصة في النار من أجل إعداد مشروب الطحلب الدافئ:

- هل انتهت امتحاناتك؟

قالت وفمها ممتلئ:

- سأنتهي الأسبوع المقبل..

احترم فمها المحشور، وابتسم بتفهم، قال:

- أشكرك على تنظيف المخبر. لا حاجة للإجابة الآن ابتلعي طعامك..

كان يمزح معها، وجد أن الكلام معها سهل للغاية، بالسهولة نفسها التي تحفظ بها معادلة كيميائية تتكون من مدخلات بسيطة، بالسهولة نفسها التي تشرب بها الماء البارد عند الاستيقاظ، بالسهولة نفسها التي تقع فيها في غرام شخص ما لا يشعر بك على الإطلاق.

وضع أمامها أطباقًا إضافية، انتهى من إعداد المشروب كرجل يحب زوجته، وجلس أمامها يراقبها وهي تحاول القضاء على التمرد الذي اندفع داخلها.. إنها كالطفلة، لكن لا يجب ألا يفكر فيها مجددًا، إنه يعلم أنها ليست له، إنها تواعد الشاب الرياضي الأخرق، شعر بطعم الدم يندفع في فمه عندما ورد على ذهنه اسمه الغبي.

انتهت من إعلان السلام، وجلست ترتشف المشروب برقة، قالت له بامتنان:

- شكرًا لك. لقد أحببت ما فعلته من أجلي.

همس برقة وقد أعجبته كلمة "أحببت" هذه:

- وأنا أيضًا أحببت ما فعلتِه لأجلي.

أدارت عينيها عنه، ها قد عادت لأسلوب "تولية الظهر" الشهير هذا، اللعنة ألا يمكنهما أن يتبادلا حديثًا وديًا كاثنين تقابلا في غواصة تقدم المشروبات الكحولية!

قال لها:

- إجابة سؤالك السابق، لقد أرسلني والدك لأخذ التماس من هيئة العلماء...

ومال إلى الأمام، فالتفتت إليه بدهشة فأكمل:

- سأخبرك سرًا... لقد عرجت على معملي قبل أن آتي إلى هنا هذا ما أخرني.

ابتسمت برقة، بدت تعبيراتها لطيفة ومفاجئة.. تماسك يا عائد وتذكر وعدك وشرف أمك، قالت:

- سأخبر والدي إلا إذا..

توقفت لتعطيه نوعًا من التشوق، قرر مجاراة لعبتها الصغيرة:

- أنا خائف جدًا، سأفعل أي شيء..

ضحكت.. مهلًا هل سمع صوت مئات البيضات تفقس برقة، هل هذا صوت غناء الدلافين في موسم التزاوج! قالت:

- ماذا كنت تفعل هناك؟ أخبرني بسرك الكبير..

اعتدل إلى الخلف، عقد يديه على صدره كتلميذ مؤدب، وأخبرها كل شيء بجدية، تجربته ووالدها الذي يرفض التجربة والجزء الناقص فيها. كانت تستمع إليه بكليتها كمعلم لطيف يحاول حل مشكلة تلميذه النبيه، سألته برقة عذبة:

- ما الذي قررته إذًا؟

سألها:

- هل لديكِ فكرة؟

كيف نسي الأمر؟ لقد وجد الفتاة المناسبة، إنها رائعة الملامح ذات جسد جذاب وعينين ساحرتين، لها طريقة تنظر بها إليك وكأنك ملك المحيطات، إنها عصبية وكئيبة بعض الشيء ولكنها الوعاء المطلوب تمامًا.. وها هي الفرصة مواتية له ليسأل، كفاه تعطيلًا..

نظر إلى جميلا بجدية، أشاحت وجهها، قبض على ذقنها بأصابعه الرشيقة وأدار وجهها ناحيته، وقعت عيناها على شفتيه همس:

- أتعرفين والي معرفة جيدة؟

بدهشة سألت:

- والي! أجل إنها صديقتي المفضلة، لمَ تسأل؟

قال بهدوء وأصابعه تخفف قبضتها وإن رفضت أن تترك ذقنها تمامًا:

- لقد فكرت في أن.. لا أعرف ماذا أقول؟ أعني إنها جيدة من أجل التجربة. أتعرفين! مبهرة ولطيفة وجذابة.. وأنا سأعاملها برقة يا جميلا.

ارتفعت عيناها مملوءة بالقسوة وكأنه أدخل لتوه طينًا فيهما، ونظرت إلى عينيه بقوة وهتفت وكأنها تختنق:

- ولماذا فكرت في والي اللعينة، ولم تفكر فيّ أنا؟

* * * *

إنك لم تجرب يومًا أن تترك عالمك المثالي، ومعملك الفضي اللامع، وحساء البارو المفضل لديك من مطعم البحر، وشراب النجمة المعتق اللذيذ.. كلا لم تترك هذا كله وتتخلى عنه وكأنك لم تعرفه، وتنحدر بحماقة صاعدًا إلى الأعلى، إلى الأرض القديمة.

حسنًا.. لقد أحس العالم فرح بذلك.. انتهى من إعداد الخطوات المبدئية من تجربته ساعدته فيها عالمه الرائع الذي يطلق عليه جميلا، وأحس بالتعب تاركًا أنامل ابنته تنظف فوضاه، وهي مهنة ورثتها عن حبه الأول والأخير؛ أمها.

كان قد نسي تمامًا محلول السم المستخرج من أحبار الأخطبوط، والمعدل وراثيًا ليصبح من أقوى السموم على الإطلاق، في درجة حرارة غير ملائمة، وعندما عدل الوضع في معمله مبتسمًا بامتنان لعمل ابنته المدهش عاد إلى الأسفل يحمل التابلت الذكي الخاص به.

وردته رسالة... كان قد قام بإلغاء الطلب الذي قام به شاعرًا بالخزي والعار من نفسه، وها هي شركة الاستيراد تعيد عليه تأكيد الطلب الذي أرسله، كان في الممر الموصل إلى المطبخ، ممسكًا بالتابلت في يده محدقًا في الرسالة ويده تضغط على زر الإلغاء.

يكفيه حماقة.. إنه، إنه بصدد الشروع في تجربة جيدة للغاية ربما تسهم في قلب مجريات الاختراعات الإنسانية المتعلقة بأحدث إنجاز عرفه الإنسان منذ قرن من الزمان، إيجاد عالم جديد ومبهر..

لذا فإن إلغاء طلبه والعودة إلى العمل تستلزمها ضغطة زر واحدة فقط، واحدة فقط تعادل الفرار من الخزي الذي غطاه منذ فترة..

قال لنفسه بأنه صار عجوزًا. قرر أن يجرب يومًا الذهاب إلى مركز إعادة التأهيل الذي يقع في المقاطعة الثانية، حيث تذهب ميتًا ويردونك شابًا.. إنه شعار المركز السخيف، لكنه يخاطب وجدانه بشدة.

وقف أمام باب المطبخ الدوار، كان المكان يعمه الصمت الأزلي، وكأن الحياة أرادت أن تأخذ توقفًا مؤقتًا تستعيد عندها نشاطها بعده، أصيب بالارتباك فهل من الطبيعي أن يشعر والد بالغضب والجنون كرجل أرضي أهوج عندما يرى ابنته الشابة تقبل شابًا آخر بهدوء؟

حسنًا تُقبل عائد الحقير كحيوان الخلد الأرضي الأعمى يجرب إمكانات فمه اللعين في وجنة ابنته الوديعة كطفل صغير..

كان من الممكن أن يضرب وجهيهما عرض الحائط، أن يجرب أن يكسر الباب الدوار في وجه عائد، ويتحمل العنوان الكبير في أخبار العصاري الثالثة: تهور العالم فرح الاختبار الأول الذي أسهم في إحداث تغييرات جذرية في العالم المائي بالتسبب في مقتل مساعده الشاب العالم عائد الاختبار الثالث وقد أثبت الطب المجهري وجود قصور في أداء عمل المخ بسبب مهاجمة مرض نوستاليجا أرضية، وقد قررت بلدية العاصمة بأخذ موافقة مجلس هيئة العلماء بإجماع الآراء، بإعادته إلى الأرض القديمة..

أما الخبر التالي فهو..

كلا.. كلا.. كلا.. مستحيل، لن تكون نهايته على هذا النحو البغيض، خبر تالٍ بعد خبره الأول، وكأن لا أحد يهتم به. كلا.

ليفعلا ما يريدان، ليقم هذا الوغد بالزواج منها، أو ليموتا معًا ويلقيا إلى جحيم القروش النهمة الجائعة.. إنه يحب حساء البارو المشبع بدمه على أي حال.

نظر إليهما من جديد كانا يبتسمان، وينظران كالبُلهاء في وجه بعضهما وكأنهما حصلا لتوهما على تذكرة مجانية للسفر إلى القمر.

كانت الرسالة تومض وكأنها تذكير، نداء من العالم الآخر، على الأقل لن يضطر إلى قتل أحد هذه المرة.

ضغط على زر عدم إلغاء الطلب، وغادر المكان يجر ابتسامة قاسية على شفتيه.

إنه ينتظر تلك اللحظة المروعة بفارغ الصبر، فمنذ اللحظة التي شاهد فيها مساعده الشاب يخترق حصون دفاع ابنته على طاولة المطبخ منذ شهر تقريبًا، وهو ينتظر اللحظة التي تأتي ابنته لتصارحه بالحقيقة، وها قد جاءت اللحظة، يمكنه أن يشم رائحة الاستعداد الزمني والنفسي التام للحظة التي تقترب كالعذراء من فراش زوجها..

تتقدم ابنته يتبعها التوتر الذي اعتلى وجهها كشيطان بغيض. يتجاهلها تمامًا، اعتاد أن يفعل ذلك منذ شهر، لقد بدأت هي بالتخلي أولًا كموجة متمردة انتزعت أبويته كلها وألقت بنفسها بين أحضان أول عابر..

ليس من المنطقي أن تتزوج عائد، ذلك المساعد الذي بدا مبتهجًا في الشهر الأخير على نحو أخرق، وكأن الفرحة تتنقل بينهما بصورة دورية، وقد اتخذت من ملامحه الجذابة كشيطان مستقر جهنمي لها.

لم يكن عائد سيئًا. إن فرح لا يراه كذلك، إنه جيد ومناسب تمامًا كقائد ممتاز، وسيحصل على درجة اختبار أولية في العلوم يومًا ما، لكنه فقط يرفض أن يتخذ هذا العالم المجنون ابنته، فتاته الوحيدة، ابنة الحبيبة الغائبة كحقل تجارب.

إنه يدرك أن ابنته على علم بمشروعه، فعائد ليس كاذبًا ولا يحب تجميل الحقائق، إنه فقط كل ما في الأمر ليس أبًا.

فعلى الرغم من أنه أكد بأنه لا ينوي إجراء هذه التجربة، لم يكن يعني سوى الجانب العلني منها.. إنه لن يفصح عنها لهيئة العلماء، واللعنة لا يمكن أن يفشي سره هذا لهم، لأن ابنته ستتمنى له الجحيم كل يوم حتى مماته، لقد استطاع الشاب أن يلعب بحرفية مصارعي الحيتان في المقاطعة الأولى.

وقفت ابنته أمامه وشيطانها يبتسم بعفوية، سألها مكشرًا:

- هل جئتِ أخيرًا لتعلني رغبتك بعائد؟

انقلبت الطاولة عليها، وكأن غطاسًا انتزع منه أنبوب الأكسجين على حين غرة، قالت مختنقة:

- كـ كيف عرفت؟

نظر إليها لأول مرة منذ شهر، استطاع أن يرى قبلة عائد مرسومة على جبينها كوشم أبدي أحمر، قال:

- أنا عرفت دائمًا.. لا داعٍ للحصول على مباركتي يا ميل.

هتفت:

- أبي إنني أحبه، لطالما أحببته.. إنه كالشعاع بالنسبة لي.

قال مغرقًا قرفه عنها:

- وماذا بشأن رامي؟

بهت وجهها:

- يمكنه أن يتفهم الأمر، أنا أعرفه جيدًا.

قال وهو يبتعد عنها موليًا ظهره:

- حمقاء لا تعرفين أبدًا.. هل ستتزوجين عائد؟

قالت بقوة:

- أجل.

هتف:

- تزوجيه إذا وكوني حقل تجاربه.

قالت بعصبية وهي تقضم شعرها:

- إنه نبيل وأنا أفهمه. كما أنها تضحية مزدوجة سيقدم نفسه أيضًا من أجل البشرية.

تنهد بقوة وأخرج الهواء من رئتيه بصعوبة:

- حسنًا.. افعلي ما تشائين.

قالت وهي تخرج من الغرفة وعلى وجهها الألم:

- أبي أنا أحبك.. جدًا.

لقد تركها تمضي، إلى أين ستذهب الآن؟ إنها ليست ضائعة إنها في أيدٍ أمينة، عائد ذو يدين لطيفتين حقًا، عندما رآه للمرة الأولى التي كان يجري فيها أداء اختبارات لمساعدي العلماء، قرر في نفسه بأن هذا الشاب ذو عيني المحيط، وخصلات نارية مطفئة، هو المناسب له تمامًا، شاب يمكنه أن يخفي مشاعره جيدًا من أجل إجراء حفنة من التجارب على ما يطلق عليهم لفظ X، يمكنه أن يراهم يتلوون من الألم وعقله يعمل بسرعة شديدة تحت شعار العلماء النبيل: "لغد أفضل، لعالم مستقر."

لكنه لم يكن يدرك أن خلف هذه الأصابع الطويلة الرقيقة التي يمكنها أن تحمل إبر التخفيض السلبي الرفيعة بدقة، يمكن أن تحمل هذا الكم الهائل من الحنان وهي تستعرض خصلات شعر ابنته الغزيرة، ولا هذا

المظهر البارد الذي يزيده المعطف الأسود قتامة يمكن أن يضم جسدًا يتوق للحب. كلا لم يتوقع هذا، وهو يكره الأشياء غير المتوقعة. لقد اعتاد أن يطلق أحكامه على الآخرين وفقًا لانطباعاتهم التي يخلفونها وراءهم في كل مرة يقابلونه، ومن ثم يمكنه أن يتوقع خطواتهم التالية، كأنه يرى هذا الخيط القدري الأحمر الذي يربط الناس بمصائرهم، إنها ميزته الكبرى التي استطاع من خلالها الحصول على رقم اختبار عالٍ.

لكن ابنته العاشقة الصغيرة! خرج من الغرفة متتبعًا خطواتها، غادر الشقة وأخذ المصعد إلى الطابق السفلي. كانت ابنته تقف أول الشارع اللامع حديث الطلاء تنظر حولها بلهفة، جاء مكوك مغلق أحمر اللون يشع ببريق الطاقة التي تحرك آلاته، أين شاهده من قبل؟

نعم عندما شاهد عائد للمرة الأولى، وها هو الشاب يخرج ويتجه إليها، وملامح الغضب والحزن والتوتر التي اعترت وجهها إذا بها فجأة تقول لها وداعًا إلى الأبد، رآهما معًا يبتسمان بمرح، فعاد أدراجه.

* * * *

إنه يرى الشمس ساطعة، والأمطار تهطل بغزارة. هل هذا ممكن! إنه لا يعرف، فهو لم يشاهد مطرًا حقيقيًا من قبل، لكنه يتخيل بأن المزيج الرائع من الأمطار والأشعة سوف يؤدي إلى شيء ما.. شعور ما، رغبة ما.. أهو يشبه شعوره ذاك الذي سيطر عليه؟

قام من مكانه ملدوغًا.. إنه يكره الضعف، إنه يعلم بأن الفريق الآخر يخسر تمامًا عندما يبدي أدنى قدر من الضعف، يقول مدربه الساخر: "أظهر قشرة من الضعف وسترى بأنها تحولت إلى شرنقة غلفتك وخنقتك."

إنه معروف بأنه قوي للغاية، ربما أشهر الرياضيين في مدرسته، وأشهر من لعب الكرة الطائرة في مقاطعته.

إنه لن يتخاذل الآن.. إن مباراته النهائية لم تبدأ بعد، إنه في التصفيات، لذا ليتماسك قليلًا. جر قدميه بطول الغرفة، يجرب الرقصة الساحرة التي يحاول معلم الرقص تعليمها له ويصرخ فيه وهو يراه يجر قدميه مع الشريك الراقص الآلي بشكل أخرق: "أنت ذو عقل صدئ يا رامي... عقل صدئ، وجسد جميل."

لكنه لا يحب الرقص أبدًا، لكنه يدور في غرفته كمجنون متخيلًا الشريك الآلي، ما رأيك بهذا يا أستاذ إنني أفضل حتى من هذا المعتوه الذي يراقصني. قفز قفزة سريعة في الفضاء دار على إثرها ثلاث مرات في الهواء.. الحركة البهلوانية الأصعب على الإطلاق، لا تزال الموسيقى تحركه بقوة، وكلمات الأستاذ تتردد في ثنايا عقله حاذفة تلك اللحظات الأكثر ألمًا بالنسبة إلى قلبه.

قفزة ثلاثية أخرى يخرج بعدها العرق من جسده العضلي كسجين مائي يتحرر إلى أرض قاحلة تمتصه بعنف لتعيش.

تخرج الذكرى المؤلمة مع حبات العرق، تنضح على جسده كدماء اعتصرها قلبه وسحب منها اللون الأحمر، اعتصرها لتصير شفافة.. مع كل قفزة ثلاثية إلى الهواء لم يكن يستطيع أن ينفذها من قبل، يفكر بعصبية هادئة السمات.

تتوقف أمامه بشعرها الطويل الذي طالما حلم بتمرير أنامله فيه بطوله، إنه مجعد وكثيف يعد بالراحة بعد طول عناء. ترتدي قميصًا بلون السماء،

إنه يريد رؤية السماء يومًا ما، لكن صارت السماء حلمًا يمكن تحقيقه أكثر من محاولة لمس هذا الجسد الذي تغلفه السماء، عيناها تبرقان.. أكان هذا إشعاعًا مزيفًا يظنه الرائي ألوان المهرجانات المئوية المصنوعة من الليزر!

تقف أمامه، يرقص قلبه أمامها الرقصات التي عجز جسده عن تأديتها بالرغم من محاولاته المستديمة، لكن قلبه يرقص ويرقص على إيقاع النغم الذي يصدره قربها منه، إنه محترف خام ليس بحاجة إلى التدريب القاسي كجسده الأسمنتي.

يريد كلمة واحدة من شفتيها الصغيرة جدًا، صغيرة وتنفرج عن صفوف أسنان مستقيمة إلا أنيابها فإنها حادة ومدببة قليلًا، لكنها تعطيها مظهرًا لذيذًا وكأنك ترغب في النظر إليهما إلى الأبد.

تقف أمامه كحلم تحقق ببشارة انتهاء الامتحان الأخير.. يبتسم لها مرحًا، عيناه لامعتان جدًا، جدًا إلى درجة تبهرها وتجعلها ترغب في البكاء.

تقف فقط كحياة كئيبة مملة، وتعلن كالموت قصة حبها، تخبره أنها تحب شخصًا آخر، هو الذي ظل يحلم باليوم الذي ستنتهي فيه هذه الامتحانات الكئيبة ليأخذها في إجازة ويخبرها عن رغبته في رؤية الشمس وكيف يتخيل شكل القمر وما معنى المطر! يخبرها أنه لطالما أحبها.. لكنها تأتي لتقل له بأن إنسانًا ما، شخصًا آخر هو حياتها كلها.. إنها تحبه، اللعنة لماذا لم يخترع هذا العالم جهازًا إجباريًا يوضع في أيدي الناس.. بدلًا من هذه الساعة الغبية المعدنية ويخبر الآخرين متى يكون الآخر واقعًا في الحب؟ يمنع الناس من التعلق الخاطئ، من الإحساس الزائف الذي ينتاب

قلوبهم اتجاه أشخاص لا يشعرون بوجودهم حتى، لماذا؟ لأنه عالم زائف، مشاعره زائفة، أشخاصه زائفون، عالم يدعي الحب وهو يغوص في خراء أسماك القرش التي تلتهم أمواته، عالم يعيث في إصلاح مفسد عالم يرقص على دماء مسفوكة شفافة، دماء لم تعرف الشمس ولم ترَ السماء.

قفزة ثلاثية أخرى، سقط على ظهره، تلوى من الألم الحاد، يرى بخاخ الآلام فلا يقربه، إنه يريد أن يشعر بالألم.. يجب أن يشعر بالألم حتى لا يضعف، حتى يفوز في المباراة النهائية ويحصل على رقم اختبار واحد، حتى يرى الظلام الذي يحيط به فيمنعه من رؤية وجه المحبوب.. حتى يحترق من اللهفة ويشتعل قلبه حزنًا ليضئ جسده العضلي ويؤدي قفزاته الخارقة في المباراة النهائية.

يجب أن يشعر بالألم؛ لأن الألم حينها سيعتاد عليه ويألفه، فيصير حنونًا به مشفِقًا، عندما سيذهب إلى المباراة النهائية ويخرج إلى صياح المشجعين ويشعر بالحماس ويتذكر بأنها لن تحضر المباراة يظل محتفظًا بقوته قابضًا على يد الألم بقوة حتى لا يفلت منه، لأن الألم سيعطيه قفزات ثلاثية رائعة يفوز بها في المباراة النهائية. وحينها فقط سيتمكن من رؤية أشعة الشمس..

* * * *

إنها أغنية كلاسيكية قديمة، ببطء.. بهدوء. "Dispacito" إنها تتردد كالذبذبات التي تصدر عن جهاز قياس درجة حرارة المحيط في عقل فاد الذي جلس يدمدم بها باستمرار، إنه يشعر بمعناها المبهم، يتردد داخل

أزقة مخه المغلقة، وتدلف إلى حاراته الضيقة الخانقة، كشمس صيفية ذليلة لم تعد تؤدي عملها جيدًا.. "Dispasito"

لطالما أحس بالكراهية العنيفة تجتاح كيانه الوجودي كلما غنتها أمه وهي تحمله على ظهرها كجوال به بقايا أطعمة فاسدة يقتاتون عليه بقية الرحلة المشؤومة التي قطعوها من العاصمة المركزية حتى جزر الأقمار.

قالت إنها تذكرها بالرقصة التي أداها أحدهم بينما هي تلده، إنها متعلقة بكيانه إذًا.. تلك الأغنية اللعينة التي يكرهها متعلقة بمولده.. إنه بدأ يفهمها بطريقته الخاصة، يفسرها بنفسه كالضلع الثالث من أضلع الشقاء التي أوجدته هنا، الأول أمه الغبية التي كانت عاهرة جدًا إلى درجة أن تنام مع أول سكير يطرق أبواب فرجها المقزز الذي اندفع منه خارجًا من مجاري التعاسة التي كونته داخلاً..

قديمًا قيل إن الكائنات الحية الأقل درجة رقي خلقتها المستنقعات المائية، ومن قال بأن رحم المرأة أكثر رقيًا من مستنقع يخلق الهوام!

ومن أدراهم بأن الإنسان أجدر من عثة الأرض!

ربما لا يمكنك أن تصرح بهذه الأفكار هنا.. لو كان عائد جالسًا بجواره لربما رأى جاسوسه اليدوي الصغير يشتعل بالضوء الأحمر القاني، هذه الأجهزة الصغيرة التي تعلن عن بقايا إنسانية محظورة بالنسبة إلى هذا العالم الغارق المظلم، الذي يعيش بالضوء الصناعي المؤكسد..

قام من مقعده الوثير الذي يساعده على جلب أشد أفكاره ظلمة إلى العالم، واتجه بخطى ثابتة إلى نهاية المخبر حيث تقوم الآلات بعملها

بكل أريحية، راقبها واقفًا يتأمل جمال الأصابع الزجاجية المقاومة للحرارة التي تقبض على أنبوب من جنسها يمتلئ بحمض ما.
عائد كتوم كورقة مطوية بشأن هذا الجزء من المخبر، والمساعد الشاب أيضًا لم يتمكن أنفه الأرضي الحيواني من التقاط أية رائحة تساعده على حل شفرة هذا الجزء ومحتواه، لكنه لا يشعر بالفضول أبدًا؛ فالقطط ليس لها وجود في هذا العالم، وجميع قطط الأرض تحورت لتصير لحومها من أغلى اللحوم في محال الجزارة المصرح بها في مدينة الخفاء، إحدى مدن جزر الأقمار المهربة التي تساعد الموهوبين على الارتقاء إلى "الأسفل"..
إنه يذكر أول مرة وصل فيها إلى مدينة الخفاء، كان الوقت مظلمًا، ورائحة خمر مشروب السماء تضيء المكان، وعبق الأرض الملحية يتجسس في الأرجاء باعثًا الشعور بأنك مراقب من قوى خفية غامضة، إنه الشعور ذاته الذي رآه في عيني الرجل العجوز الذي بترت ذراعه بواسطة آلة متفجرة، لقد قابلاه في رحلتهما المخيفة على قارعة الطريق..
وقف فاد جانبًا يتبول على جثة حيوان متحلل رأت والدته ألا فائدة منه، وأنه غير قابل للإطعام، بينما وقفت والدته بشعرها المحلوق حديثًا الذي بدأ ينبت كزرع سقي ببول الشيطان، تتبرز وقد بدت بمؤخرتها الضامرة كمن أصيب بالناصور مؤخرًا، سمعا معًا صوتًا صادرًا من حنجرة متألمة، حنجرة تعلن ساعات صاحبها الأخيرة في هذا العالم.
فوق الحنجرة استقر رجل مشوه سوى من عينين تحملقان إلى الأعلى، تمتم بشفاهه الدامية: "لا تعاقبني يا رب، لا تعاقبني يا رب، لا تعاقبني يا

رب..." ظل يكررها حتى ملت حنجرته منه، وتوقفت عند القاف وقتلت صاحبها بشهامة آخذة العقاب منه لفترة..

ظل فاد يفكر في حرف القاف الذي توقف عنده الرجل.

سأل نفسه هل استجاب له الرب؟ أم أن الرب كان ينتظر المرة الثالثة ليستجيب؟ لكن الرجل لم يكمل مرته الثالثة، ولن يكملها أبدًا...

هذه القوة الروحية التي سيطرت على الميت وجعلته يتخيل وجود قوة في الهواء، كانت تسير في شوارع الخفاء..

اقترب من زجاجة لامعة محكمة الإغلاق كقلبه لحظة الصحو، إنه يعرف محتوياتها جيدًا، عن طريق حاسة الشم العنيفة التي ابتلي بها كنعمة غير مرغوب فيها، إنه هنا الآن بسبب هذه المنحة الإلهية التي لم يطالب بها.

الروائح!

سأله المسؤول عن الاختبار الذي كان يرتدي معطفًا مشعًا بضوء فسفوري، بصوت نحيف ذكره بصوت ماعز تلد كلبًا:

- أخبرني ما الشيء الذي ترى نفسك تستحق لأجله شرف الدخول إلى العالم الجديد؟

قال بهدوء مصطنع، بالنبرة نفسها التي دربته عليها أمه:

- إن لدي حاسة شم قوية، بالإضافة إلى معرفتي بالكيمياء الحيوية.

ظن أن الرجل سينفجر ضحكًا بهذا التعريف البارد الموجز الذي يظن بأنه يستحق شرف الدخول إلى العالم الجديد لأجله، لكن الرجل لم يضحك، بل قال:

- اتبعني إذن..

تتبع الرائحة جيدًا..

خضراء دافئة، تذكره بمعمل حمضي كئيب، صار أكثر كآبة عندما أطلقت عليه قذيفة عشوائية انفلتت من يد صبي في السادسة يتعلم مبادئ ألعاب الكبار العنيفة..

إنه الفورمالين المخصص لحفظ الجينات، قديمًا كان للفورمالين رائحة قذرة جدًا كرائحة خنفساء متحللة، والآن بعد التعديل الوراثي صار ذا رائحة دافئة.

الدفء إنه يفتقد تلك الكلمة حقًا..

إنه موقن بأن الحياة عادلة على نحو جيد، لقد أخبرته بأنه حصل على مركز يتمناه سكان الأرض كلهم، لذا لن يحصل على الدفء أو الآمان أو الحب أبدًا.

إنه راضٍ عن وضعه كجثة ماتت حديثًا، واكتشفت بأن طول القبر مناسب لها تمامًا، إنه لا يشكو شيئًا..

سمع شكوى جهاز الحفظ الآلي، إنه يصدر صوت عواء خافت ينبهه بأن وقت الإغلاق قد حان.

اتجه بخطى تحمل ثقل المسافة التي قطعها ركضًا وأمه إلى الجهاز اللامع الذي يحوي بداخله ملايين الأسرار، ومليارات الروائح.

أغلقه حتى تأكد من أن الضوء الأسود قد ظهر، أعطى ظهره للنافذة يتأمل اللا شيء أمامه ويفكر فيه أيضًا، لحظة صفاء عقلية طاهرة، كأن أحدهم صنع مساجًا لتلافيف مخه الصدئة فتوقفت عن العمل نهائيًا.

إنه وقت عودة العالِم الكبير، نظر إلى النافذة بملل، وبهدوء راقب رئيسه يمسك معصم فتاة مذهلة كشيطان، ويجذبها نحوه فتضحك بخجل، بلا مبالاة راقب القبلة الخفيفة التي طبعها الرجل على شعر الفتاة الذهبي، بينما يقبض بأصابعه شفتيها اللوزية.

يمرر أصابعه المغلفة بقفازات شفافة بدت كجلد ثان ليده الأصلية على معطفه المشع الضيق، ويعدل وضع ابتسامته على شفتيه، يقرر إمالتها إلى اليمين قليلًا حتى لا تظهر سنه الصغيرة على الجانب الأيسر، إنها نصف سن تخلت عن أختها وهو صغير، عندما وقع على فمه وهو يضحك بسعادة بالغة بعدما حصل على أول اعتراف بالحب، وأخذ النصف المكسور الاعتراف وتهشم على الأرض الإسفلتية الصلبة، ولم تنزل نقطة دماء واحدة لترثي نصفه الضاحك.

يدخل عائد بصحبة المذهلة التي لا تزال تضحك بخجل، نظرت إليه كشمس كريمة تمنح حنانها يومًا واحدًا، هتفت بسعادة لم يصدق وجودها:

- لا بد أنك فادي. لقد حدثتني والي كثيرًا عنك!

ابتسم عائد وتدخل بقسوة مريرة:

- إنه فاد.. فقط.

ابتسمت بلهفة معتذرة، وقالت معلنة بداية غروب البخل:

- عفوًا.. فاد.

لم ينبس بشفة وراقب الثنائي المحظوظ يسير داخل أروقة المعمل المضيئة الساطعة ذات رائحة البيضاء للدفء، كانت تحتفظ بابتسامة خجلى، وهي تستمع لشرح عائد لقوانين معمله.

فكر في نفسه: "أهو على وشك استبدالها به؟"

عبثت فقاعات الخوف بروحه، شعر برغبة للذهاب إلى الحمام ليفرغ مثانة امتلأت بالتوتر، لكن أقدام الفضول ظلت ثابتة في مكانها تراقب بألم.

إنه لا يريها كل شيء، فقط ذلك الجزء المحرم الذي لم يخبرها عنه.

ربما يجعلها مساعدته الشخصية، مساعدة تهتم بالجزء المخفي من معمله، هل يمكن أن تكون الحياة رحيمة فجأة؟ يأتي إلى العمل كل صباح لتقابله هي بابتسامة خجلى وتقول له يا فادي ويشربان معًا عصيرًا مثلجًا بالعاطفة الوليدة، ويقبلها يومًا ما على شعرها ويقبض بأصابعه على شفتيها اللوزية، وتعترف له بالحب، وتمسك ذراعه لتمنعه من فقد سن آخر ضاحك، ويخبرها عن أمه وكم كان يكرهها، ويقرمشان معًا جندوفلي مجفف، ويأتي عائد ليعلن غيرته من هذا المحظوظ الذي حصل على الفتاة الهدف، ويعيشان معًا في بيت صغير يبتعد عن العاصمة وعن الحدود المائية ويخبرها بأن الشمس لو كانت لا تزال تسطع على الأرض القديمة لغارت منها، ويمسك....

- لقد أحسنت صنعًا يا فاد، إنك الأفضل.

غمز له عائد مخرجًا إياه من فضائه التخيلي، ليعيده إلى مشاعر الحزن، والقلق، والتوتر بقسوة. لكنه يسامحه، إنه عالِم، والعالِم لا يعرف الخيال، والعالَم لا يعترف سوى بالعلماء.

إنها تهز رأسها بتفهم على كل حرف ينطقه عائد، بينما يتحدث عائد بجدية كجلاد يشرح بعطف خطوات الإعدام التي سيتبعها لضحيته.

شعر برغبة أرضية مذهلة، أن يخطفها من يديه ويهرب إلى مكان ما، يعودان إلى الأرض مثلًا، أو يصعدان إلى الفضاء، سفينة فضائية مجهزة للعيش لهما وحدهما، واللعنة على العالم كله بعلمائه الأغبياء.

انتهى عائد من الشرح التفصيلي الذي قتل إحساسًا مؤقتًا بالأمان في نفس فاد، جزء آخر ينفصل عنه...

كاسمه مثلًا... لقد تقرر أن يتخلى عن آخر حرف له على الأرض ويعيش بلا ذيل، آخر من ناداه باسمه الحقيقي فاد هي المرأة التي كانت مسؤولة عن توصيله إلى الغواصة السحرية التي نقلته إلى هذا المكان حيث توجد أحلام أخرى متعلقة بالأمان والحب لا تتحقق أيضًا.

يقف عائد أمام تلك الزجاجة الخضراء، ويقول لفتاته:

- جميلا، يمكنكِ الانسحاب إذا أردتِ، سأتفهم الأمر صدقيني.

تنظر إليه وتهمس بشيء لم يسمعه فاد الذي شعر بوقر في أذنيه منعه من الملاحظة، لكن الإجابة كانت إيجابية، انفرجت أسارير عائد وأشرقت ملامحه من الفرحة.

استرق نظرة إلى فاد وهتف:

- يمكنك أن تذهب الآن يا فاد، خذ بقية اليوم إجازة.

إذًا كابوسه يتجسد أمامه بنذالة واضحة، خلع معطفه بأصابع تعزف ارتعاشات الأسى، وقال بهمس:

- هل سأعود إلى العمل غدًا؟

نظر إليه عائد بعدم فهم:

- ماذا؟

قال موضحًا:

- هل تستغني عني؟ أعني هل ستحل الآنسة محلي و...

انفجرت ضحكة عائد كبالون ممتلئ بالماء الأسير الذي قرر الخروج، ضحكت الفتاة أيضًا. لحظة إنهما يسخران من أرضي بسيط مثلي، سجلت أسورة معصمه لونًا غريبًا يدل على عمق مشاعر الكراهية، خبأ يده خلف ظهره، هتف عائد:

- إنك أحمق يا فاد.. جميلا، أقدم لكِ فاد مساعدي المخلص الأبدي. فاد، أقدم لك جميلا زوجتي المستقبلية إلى الأبد.

الآن يرقص الكابوس بسعادة واضحة ويقهقه، وهو يضحك على نكتة ألقتها الحياة على مسامعه، يسخران من أحلام فاد دون ياء البسيطة الساذجة، ويبتسم فاد لهما بخنوع ويقول:

- شكرًا إلى الأبد..

* * * *

تنفجر والي ضحكًا على مشهد السمكة التي تصارع أخرى على قطعة من الطعام السمكي اللذيذ النادر، وفجأة تموت سمكة الرن لأن عمرها الأربعة أيام قد انتهى فجأة في منتصف الصراع، وتحصل الأخرى على الوجبة متلذذة.. تنظر والي إلى الباب كل بضع ثوانٍ، الأصدقاء يتحلقون حول طاولة معدنية شفافة رُصت عليها أكواب من خمر نجم السمك المنعش، تضع ثلجًا في كوبها وتصب مجددًا، موسيقى جميلة تصدر من السقف، ألوان الأرضية الراقصة تلمع كمليون لون ولون، والراقصون يلمعون معها ويباركهم الإيقاع الراقص.

هتفت هايد بصوت عالٍ في أذن والي:

- أشعر بالاختناق هنا، هل نرحل؟

هتفت والي بحماس:

- لقد وصلنا للتو..

استدركت بتوتر:

- هل قلتِ إن الجميع سيحضر اليوم؟

قالت هايد بلا مبالاة وهي تبتلع قطعة من الثلج الأبيض:

- قالوا هذا، لكن تأخر كلًا من رامي وسايد، أظنهما نسيا الموعد أو شيء من هذا القبيل.

قرمشت قطعة أخرى وقالت:

- لنرحل.

هتفت والي بعنف:

- كلا سأنتظرهما هنا...

- قد لا يأتيان أبدًا ولو بعد عامين!

- سأنتظر على أي حال.

- جميلا لن تحضر.. ها؟

- .....

- سمعت أنها منشغلة هذه الأيام، فيمَ يا ترى؟

- أظن هذا أفضل..

- ماذا قلتِ؟ لم أسمع..

- لا شيء.

بالأمس وقفت جميلا أمام سرير والي وأعلنت قائلة بهمس، وهو تنظر إلى الحائط الممتلئ بالصور المتحركة التي تلتقطها صديقتها بشغف:

- سأتزوج عائد.

اعتدلت والي التي تنام على بطنها وتراسل هايد باستخدام التاب الصغير، أغلقت المحادثة، وقالت:

- ماذا؟

جلست جميلا وكأن الخبر أرخى أعصابها:

- سأتزوج عائد.

صرخت والي:

- أنتِ تحبين رامي!

هزت صديقتها رأسها وقالت تدافع عن قلبها:

- كلا لقد اكتشفت بأنه صديقي فقط، إنني أحب عائد أكثر.

أمسكت والي بكتفها ونظرت إلى عينها وقالت:

- أحقًا ما تقولين؟

هزت جميلا رأسها وتجنبت النظر إلى عيون والي:

- ورامي؟

- لقد أخبرته بذلك؟

- ماذا قال؟

- لا شيء... لقد تقبل الأمر بروح رياضية.

- إنكِ بائسة يا ميل، لقد كسرتِ قلبه..

- ماذا أفعل؟

- اللعنة.

ابتعدت والي ونظرت إلى الحائط وأعطته ابتسامة مشرقة كبيرة جدًا إلى درجة أن الصور المتحركة بادلتها الابتسام بمرح، قالت ميلا:

- أنا آسفة حقًا.

- إنني أهنئكِ يا ميل.

عانقتها والي بقوة وظلت تبتسم إلى الحائط، ولم تتوقف عن الابتسام حتى اليوم، تساءلت إن كان القلب المكسور يمنع صاحبه عن الحركة؟

هتفت هايد فجأة:

- انظري لقد جاؤوا أخيرًا... يا للملل!

التفتت والي تجاه الباب الكبير الذي شعر بالضآلة فجأة عندما دلف منه شاب عملاق مفتول العضلات، يستند على كتف سايد ضاحكًا بتوتر، سايد يهمس بشيء ما يزيد انفراجة شفتيه.

تلوح هايد إليهما فيأتيان، سايد في الأمام ويتخلف عنه رامي بمقدار بوصة، والغريب أن والي لم ترَ قدوم سايد قادمًا، كان العملاق الأشقر صاحب الشعر المصبوغ قد استحوذ على القاعة، والموسيقى، وملايين الألوان التي تخرج من الأرضية، والراقصين الثملين، والسمكة النادرة التي تتلذذ بالحلوى، وقلبها الكبير الذي أحبه منذ الأبد.

جلس سايد وهتف ممازحًا:

- كيف حدث أن تضم القاعة فتاتين كئيبتين مثلكما!

أزاحت والي المقعد المجاور لها ودعت رامي إلى الجلوس، فجلس شاكرًا بهمس، أجابت هايد على تعليق سايد اللعين:

- وكيف حدث أن شابًا غبيًا مثلك يأتي بعد الموعد بساعة؟

صب رامي لنفسه كأسًا ممتلئًا، قال سايد:

- لم يرد رامي القدوم، كنت أقنعه أن يأتي، استغرق هذا وقتًا، إن عقله كعقل أرضي تمامًا..

مد رامي أصابع يده الكبيرة وقبض على حفنة من الثلج قذفها في كوبه الشفاف، وقذف بحبتين في فمه، قرمشها متلذذًا..

هتفت هايد:

- لقد كدنا نترككم ونرحل، أليس ذلك صحيحًا يا والي؟

نظر رامي إلى جموع الراقصين وهو يشرب بسرعة، كانت عيناه تدوران في محجريهما وكأن لديهما حياة خاصة بهما، لا تنتمي إلى رأس ذلك العملاق الكبير الوسيم..

قال سايد وهو يأكل كعكة بالجزر الأصفر المالحة، ويبتلع عصيرًا معلبًا:

- غريب.. ألن تأتي جميلا اليوم؟

نظرت إليه والي بغضب وكادت تفتك به رموشها الطويلة التي وجهتها كسهام مشتعلة نحو رأسه الكبير الفارغ، توقف رامي عن الشرب لبرهة، قالت هايد:

- إن ميلا مشغولة للغاية.

قالت والي:

- قد لا تتمكن من القدوم.

وضع رامي كأسه الفارغ على الطاولة بعنف، نظر إليه سايد وهايد بدهشة، بينما استكانت كتفا والي من التعاطف.

هتف سايد:

- هل سكرت بالفعل؟

- اخرس يا سايد..

هتفت والي، ثم همست لرامي:

- هل أنت جيد؟!

لم يقل رامي شيئًا، نظر سايد مطولًا إلى والي، ثم نظر إلى هايد التي كانت تضع أقراطًا من الصخور البركانية الحمراء تشع كلما حركت رأسها، وترتدي ملابس خفيفة تبرز معدتها الموشومة برمز "TYU" وهو رمز المقاطعة التي تنمتي إليها، سألها:

- ألا ترقصين معي؟

هزت كتفيها بلا مبالاة وقالت:

- بلى.

قاما من مكانهما، رمى سايد والي بنظرة وغادر برفقة الفتاة الأخرى..

- جميلا لن تأتي، صحيح؟

- نعم.

- عرفت هذا.

- لكنني لم أخبرها عن خروجنا معًا في الأساس.

ملأ كأسه من جديد، وتجرعه بسرعة، هتف:

- إنه حار جدًا، تبعه بقطع من الثلج الأحمر المجروش.

قالت والي:

- أنا حزينة.

هز كتفيه:

- ليست مشكلتكِ يا والي.

- ما كان يجب أن تفعل ما فعلته، إنها حمقاء تمامًا. لقد حاولت أن..

- قلت إنها ليست مشكلتكِ، لذا اسكتي فقط.

انكمشت والي في نفسها وراقبته بصمت وهو يجرش الثلج بأسنانه البيضاء اللامعة، واللؤلؤة الذهبية على سنه المثلوم تلمع بالغضب، همس:

- أعتذر.

قام من مكانه بعنف، سقطت قطعة من الثلج من فمه على الطاولة، نظر إلى جموع الراقصين لهنيهة وغادر المكان..

نظرت والي إلى الطاولة وأخذت القطعة الثلجية الآخذة في الذوبان ووضعتها بفمها وأخذت تسكب قطرات حارة من عينها، لقد كان يأمل أن يرى جميلا هنا. إنه لا يزال يحبها، إن السمكة لم تمت بالفعل، لقد ادعت الموت، لأنها ملّت الصراع على قطعة الحلوى البائسة، توجد مئات القطع، أنت فقط لم تبحث بدقة..

وقفت بسرعة، نظرت إلى الراقصين، استطاعت أن تميز وجه سايد يبتسم لهايد التي بدت مرتاحة جدًا لإيقاع الموسيقى الكلاسيكي البطيء، لا توجد طبول كهربائية ولا معازف وترية، البيانو والجيتار وصوت مغنية ساحرة تدعو للحب..

خرجت من الباب الكبير جدًا، ابتلعها الظلام في الخارج، سارت على قدميها كفتاة أرضية غير متحضرة تبحث عن شريك حياة مات في الحرب.

تسير بهدوء ودموعها تتسابق على خديها، الشارع مضيء بالسواد، يحاكي عالم الظلام الأرضي حفاظًا على بيولوجية التركيب الإنساني، عالم مزيف يبحث عن كلمات جديدة لتعبيرات انتهكت منذ ملايين السنين.

إنها تكره هذه اللحظات، إنها تفكر في انتهاك أحد القوانين الآن، إنها تفكر في الوسيلة المناسبة لخنق هذه المشاعر الغبية، الموت يبدو مناسبًا جدًا، لكنها غير شجاعة لإلقاء نفسها في مقابر الدفن/ الإطعام.

تفكر بجميلا. لقد حازت كل شيء، العالم ليس عادلًا أبدًا، كل ما تريده هو رامي فقط، إن هذا ليس كثيرًا جدًا. أم إنه كثير بالنسبة إليها؟

إنها تكره جميلا.

تكره كل شخص.

تكره هذا العالم المزيف.

الدموع لا تتوقف كسراب يحوم بعيدًا تسير منتظرة توقف أمطار حزنها التي جاءت بعد فرحة أمل.

هل كانت تظن بأنه سيطلبها للرقص؟

القلوب المنكسرة لا ترقص، إنها تنتظر موتها بصمت أجوف يصرخ بالخواء.

تسير بحذائها الذي انتقته اليوم بعناية، نهاية الشارع العام الذي يمتلئ بآلات مكوكية راكدة، تنتظر النهار الأكثر زيفًا لأخذ الطاقة وعودة العمل.

في آخر الشارع، ظل عملاق كمارد قفز من مصباح معلق على السقف العتيق لمنزل خرب..

يقف رامي واضعًا يديه في جيبه الأيسر، ينظر إلى شاب آخر.
أسمر عملاق أيضًا، يرتدي معصمًا أحمر بيده ويشرب السيجار.
مهلاً من أين جاء بها؟ إنها ممنوعة وفقًا للقانون السادس عشر من قوانين الحياة المدنية السليمة.
تأخذ حاجزًا، تتوقف دموعها عن الجري، ويبدأ سباق دقات قلبها العنيف.
هل رامي في خطر؟
رامي يبدو ثابتًا كصنم لا يرمش، كلوحة قبض مبدعها على لحظة مشؤومة وهو يتناول المقرمشات.
يهتف الشاب الأسمر:
- كيف حالك يا صديقي؟
استند رامي على العمود الإلكتروني الذي يعلن درجة الحرارة والوقت:
- أنا بخير..
ابتسم الأسمر برقة وسعادة غير مبررة، وغادر مبتعدًا تاركًا لوحة حية تستند على العمود الخلفي.
لم تفهم والي شيئًا..
لكن رامي جيد وهذه هي المسألة الأسمى.

* * * *

على غير المتوقع، يشعر العالم فرح بالسعادة اليوم، إن معنوياته تعانق في رهفاتها المحيطات التي تضم العالم الجديد، مكيف الهواء يعمل دون صوت ويرسل نفحات من الجنة عبر وجهه الذي كان مجعدًا قبل أن يقوم بالأمس بإجراء إحدى الجلسات التجميلية التي أعادته شابًا مرة أخرى.

على الرغم من أن ابنته ركبت غواصة التمرد وقررت الزواج بعائد، فإنه لم يعد يهتم، وكأن عائد الذي بدأ يناديه بوالدي، قد صار ابنه حقًا!
لديه اجتماع مهم اليوم.. من المتوقع أن يظهر على المحاكي في برنامج "مع مهم" الساعة الأربعين، أي بعد عشرين ساعة من الآن.
بدا له الوقت كلعبة غريبة غير مفهومة القواعد ولكن يلعبها الجميع بدقة ومهارة، لكنه لم يكن على وشك التفكير العلمي في تلك الظاهرة التي حيّرت الجميع، إنه يريد أن يستمتع بتلك الفترات النادرة التي ينتابه فيها هذا الشعور الفردوسي الناعم.
يرتشف على مهل كأسه الثاني من عصير الفواكه البحرية اللذيذ، تمر ذكرى بخاطره وكأنها لفحة هواء هجيرية ألقت تألقًا بسماوات حياته..
امرأة ناعمة مذهلة تكره شرب العصير وتحب فواكه الأرض بدلاً من ذلك، امرأة أرضية تزوجها عن حب، ورغبة لم تتوقف حتى بعد موتها.
امرأة لم يتزوجها ليجري عليها تجاربه مثلما تفكر ابنته بمفهوم خاطئ للحب، كادت تلك اللفحات الهجيرية أن تقتل سعادته العابرة فابتلعها برشفة كبيرة من عصيره البارد، وأجبر عقله على التوقف عن استرجاع الماضي، واستفراغ ذكرياته، لديه ما يكفي من الأمور لينشغل بها.
زواج ابنته ليس واحدًا منها على أي حال.
يتوجب عليه أن يحضر كلمات لائقة للاجتماع القادم.
أن يذهب كضيف شرف إلى حفل تخرج الدفعة الجديدة من الحاصلين على أعلى درجات اختبار، وملحوظة سريعة لنفسه: "سيجبر نفسه على

عدم التفكير في المرة الأولى التي قابل فيها عائد، التي كانت في ذات الحفل، لأن الذكرى ستساعده على الغثيان.."

انحنى إلى الأمام، أمسك التاب الخاص به، قام بتشغيل البروجكتور المتصل به، وأعاد تشغيل أحد الأفلام الكلاسيكية التي بدت مملة بحوارها الطويل، والتخيلات الخرقاء لعالم متدمر، ومدينة مثالية.

وصلته رسالة على نحو ما، ضغط زر الفتح، فتوقف الفيلم بشكل آلي وجاءت الرسالة مكتوبة..

توترت أعصابه للغاية.

الرسالة القدرية المنتظرة.

أما كان من الممكن أن تتخير وقتًا آخر يكون فيه أقل سعادة؟!

لكنه الوقت مجددًا.. الوقت الذي يلعب بمهارة دون قوانين.. هذا ليس عدلاً.

كان نص الرسالة مكتوبًا بأحرف ذهبية عملاقة تتراقص على الحائط الأبيض الذي كان يتحرك بأحداث فيلم ممل منذ قليل.

" لقد وجدنا الهدف...

هل ترغب في مشاهدة صورة لها الآن؟

أم أن العميل قد غير رأيه؟"

تتراقص الأحرف على الحائط كمجموعة من الأسماك الذهبية ترقص بمهارة، أم أن هذه عيناه ترقص في محجريهما؟

يفتح الباب بعنف فجأة، تدلف والي بحماس إلى الغرفة، لم يعطه الوقت فرصة كافية لإغلاق المعروض على الحائط..

تقول الفتاة بإثارة:

- أين جميلا؟

يشير إلى أعلى بشكل وهمي وقد انفرجت شفتاه كأحمق..

الفتاة المستثارة لا تلاحظ ذلك، وتصعد الدرج الكهربائي بسرعة، وتتعثر فتقوم بعنف ويسمع خطوات أقدامها فوق رأسه..

هل شاهدت المعروض؟

ربما لم يكن عندها الوقت الكافي لذلك.. وربما شاهدته ولم تقرأ، وربما قرأت ولم تفهم، احتمالات عدة، قدمها الوقت أمامه ولم يجب عنها.

إنه منبهر باللعبة الزمنية أمامه..

يفصل التاب عن البروجيكتور، ويقول بصوت ثابت يهتز من الداخل:

- يرغب العميل برؤية الهدف..

ثانيتان مرتا كسنة ضوئية قبل أن تعرض الشاشة امرأة طويلة مذهلة سمراء، تكاد تنطق صارخة بعنف: "لقد عدت يا فرح.. هل اشتقت إلي؟ أو ربما لا أبحاثك اشتاقت إلي وأنت لا." وتنفجر ضاحكة وهي تقبل عنقه بمودة.

إنها الشبيه بالمرأة الحلم التي اختفت بطريقة غامضة..

هل يمكن لهذا أن يكون حقيقيًا؟!

إنه يخدع نفسه بالفعل، أن يبحث عن شبيهة أرضية لزوجته التي تعيش في بطن حوت عجوز قد يكون قد مات واستعمل جراح التجميل بالأمس زيته ليفرد تجاعيد الزمن التي حفرتها أنامل حزنه على زوجته الراحلة..

إنه يكذب على نفسه كطفل صغير يركب مضرب كرة القدم الكهربائي، ويدعي أنه مكوك حديث الصنع..

لكن ألا يخدعه الوقت أيضًا؟

إنه سيحاول ولو لمرة واحدة أن يمارس خدعًا على الزمن، أن يلعب بقوانينه الخاصة التي تنص على ألا قانون..

إنه سيعيش لأجل أن يخدع نفسه مرة واحدة أخيرة، سيجرب.. أليس هذا ما يفعله دائمًا؟ إنه العالم فرح الذي أذهل العالم الجديد باختراعاته وعبقريته، وحان الآن موعد إدهاش الذات..

* * * *

تجلس جميلا أمام مرآة التجميل الإلكترونية، تجرب وصفات لتصفيف شعرها يوم الزفاف، تخبرها المرآة وهي تعرض شعرًا أحمر اللون به خطوط خضراء أن هذا الشكل غير ملائم للون عينيها الذهبي، يقترح الصوت الصادر من سماعات خفية خلف اللوحة الزجاجية: "قومي بتغيير لون عينيك إلى لون الجلاكسي اللامع، سوف يكون ملائمًا للون شعرك الحالي.."

إنها لا تريد تغيير خصلات شعرها، من الواضح أن عائد يحبه بهذا الشكل المصفف الطويل، على الرغم من أنها لم تقم ولو لمرة واحدة بقصه أو تغيير لونه، تشعر بالامتنان للذات التي لم تتهور يومًا.

عيناها... إنها تشعر بأن لونهما غريب، لون أصفر غامق أو ذهبي فاتح، إنه لون غير مألوف بكثرة هنا، يعطها منظر المتشردين الأرضيين المصابين بنوع من مرض استنكار الإنسانية..

إنها ترغب في تغيير اللون قبل زفافها، هل سيوافق عائد؟

تذكرت التجربة التي من المفترض أن تخوضها، انكمشت ملامحها توترًا.

إنها على وشك أن تصبح إحدى عينات التجارب الآدمية التي سمعت عن وجودها في مختبرات العلوم التقنية المتطورة في المقاطعة الأربعين، إنهم أشخاص يأتون بإرادتهم إلى العالم الجديد لتُجرى عليهم التجارب البشعة، أشخاص بائسون وجدوا أن الموت لم يكن رحيمًا كفاية ليقبض أرواحهم، فقرروا معاقبة الموت باستدعائه مباشرة دون انتظار إذنه.. يطلق عليهم اسم "X".

لكنه اختبار غريب، وفي الوقت نفسه إن نجح ستكون أمًا لأذكى طفل في العالم! ترى هل ستكون قادرة على تحمل عبء تربيته، أم أنه سيكون مطيعًا للغاية!

ينتابها شعور بأن عائد تخير الزواج بها لهذا السبب بالذات، وأنه لا يحبها، إنه بارد في تعامله معها، على الرغم من تأكيده اعتزازه بجمالها وشخصها، لكنه كاعتزاز العالم الجليل بمخبره الذي لم ينفجر أبدًا في وجهه، ويضطره إلى إجراء جراحة تغيير الجلد.

التوتر يأكلها كسمكة شصية أليفة لم تعتد بعد على مالكها الجديد، الخوف بنى بيته الزجاجي الهش في جنبات قلبها وحول أضلعها.

ترغب في الحديث مع أحدهم و...

تندفع والي كبركان انفجر مؤخرًا إلى الغرفة، تهتف:

- أنتِ هنا!

قالت بابتسامة:

- من كنتِ تتوقعين وجوده في غرفتي؟

تهز والي رأسها فيتطاير شعرها، مهلًا.. إنه مصبوغ حديثًا بلون كريمي جذاب، متى قامت بتغيير لونه؟

أضافت:

- شعركِ جميل..

لم تنتبه والي إلى قول صديقتها، كانت تذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا كحيوان حبيس، نظرت ميلا أمامها وأكملت التطلع نحو الإمكانيات التجميلية التي تعرض على الشاشة التي أمامها وتقدم اقتراحات جيدة.

إن وجهها ليس بحاجة إلى أية جراحة تجميلية، إنه صافٍ ولونه كالعسل الذهبي، تمرر أصابعها الرشيقة بطول وجهها، فتزلق بحنان على وجنتيها وذقنها الدقيق، رموشها ناعمة وكثيفة وشعرها.. تفادت بتلقائية شظية مرت بجانب وجهها كان مصدرها المرآة الإلكترونية التي تهشمت.

بدهشة نظرت إلى قبضة والي التي تنزف بعدما وجّهتها إلى المرآة الكبيرة أمامها..

تتنفس والي بصوتٍ عالٍ، الدموع تغطي عينيها، وتتطلع بغضب تجاه صديقتها المنذهلة، تقول بصوت مخنوق:

- انظري إليّ وأنا أتحدث معكِ.

لا تذكر جميلا أن والي قد تحدثت، أو ربما طغى صوت المرآة وصوتها الداخلي على كلام صديقتها..

- والي.. أنا لا أفهم! ما؟

- لماذا تركت رامي يا ميلا؟

- ظننت أننا تحدثنا في هــ... لماذا تهتمين لأمره؟

الإسورة في يد والي تلمع باللون الأخضر... أهي تحبه؟

- هل أنتِ تحبينه؟

جلست والي على الأرض البلورية ووضعت وجهها بين أصابعها، وانفجرت تبكي..

جلست إلى جوارها وقالت:

- أنا مندهشة يا والي، لقد حرضتني على الذهاب في موعد معه!

- ظننت.. ظننت.. أنني بهذه الطريق سأراه أكثر معك... و..

- لماذا لم تقولي لي؟

- لا أعرف.. إنني ناجحة في جلد الذات.

- اللعنة لا تقولي هذا.

أمسكت بكتف صديقتها فأزاحت والي أصابعها عنها وتشنجت..

وقفت ميلا:

- إنني أعتذر يا والي، أنا حزينة لأجلكِ حقًا، أعتذر..

هتفت والي وهي تقف:

- إنه لا يزال يحبكِ..

قالت ميلا نافدة الصبر:

- هذه ليست غلطتي يا والي لقد انتهى كل شيء، خذيه أنتِ، أو اتركيه يذهب إلى أسماك القرش اللعينة. لم أعد أهتم.

هذه المرة شاهدت ميلا كف والي وهو يطير ليلتصق بوجهها، لكن هذه المرة لم يكن هناك شظايا مادية تتناثر، وإنما شظايا روح فتاة مسكينة أحبت بصدق حبيب صديقتها تناثرت في وجه ميلا..

الأسورة في يدها اليمنى أعلنت:

- لقد تعرضت للخطر.. قل بل للتأكيد/ قل لا للنفي.

نظرت والي إلى ميلا برعب، لقد اخترقت لتوها قانون الحماية المدنية العامة الذي يمنع تعرض المواطنين لأي نوع من أنواع الإيذاء. اللعنة على كل شيء.. إذا أجابت ميلا بالإيجاب.. كلمتان فقط قادرتان على تدمير مستقبلها المهني بكل تأكيد، فكرت برقم الاختبار المزري الذي ستواجه به والدها.

قالت ميلا بثقة: "لا.."

تهدلت ملامح والي من الاطمئنان، وتراخت أكتافها بأسى:

- إني أعتذر.. هل أنتِ جيدة؟

ابتسمت ميلا:

- لقد صفعتني كأرضي تمامًا.. إنكِ متأثرة بمسلسل "سارع إلى حتفك" جدًا..

جلست والي وقالت:

- سامحيني، إنني حمقاء كفتاة لعينة من الأرض.. هل أنتِ جيدة؟

جلست جميلا بجانبها، مدت أصابعها إلى شعر والي ورفعت وجهها باتجاهها، ثم قالت:

- اسمعيني جيدًا يا والي، اتفقنا؟

- ميل ما الأمر؟

- أتعرفين الهدف من زواجي بعائد؟!

راقبت والي بقلق صديقتها..

قالت ميلا:

- إنني أتزوجه لغرض علمي تمامًا.. الموضوع كبير، لا أعرف كيف أشرح لكِ الأمر؟

قالت والي:

- بسطيه إذًا..

تنهدت ميلا:

- إن عائد على وشك القيام بتجربة جديدة، وهو يحتاج إلى وعاء حاضن..
- ما الذي سيزرعه بداخلك؟
- طفل..
- طفل؟
- أجل طفل.
- وما المشكلة؟ الرجال لا يفعلون شيئًا سوى زراعة الأطفال بداخلنا، ويتركون علينا الرعاية والحصاد!
- .....
- ما نوع الطفل يا ميل؟
- لا أعرف بعد... طفل ذكي له جينات وراثية متطورة، له عقلية إلكترونية مختلفة..
- ماذا؟ لا تقولي لي إنه بصدد إعادة تجربة الآلات المتطورة التي تسببت في دمار الأرض القديمة!

- لا لا أظن ذلك.. لا أعرف لكنه سيكون بشريًا من لحم ودم، سيرضع ويأخذ زيت الحوت كأي واحد هنا.

تنهدت والي:

- هل يعرف والدكِ بالأمر؟

- إنه يشك بوجود شيء ما..

- ألا يحبكِ عائد؟

- بلى، يحبني..... بطريقته الخاصة..

عانقت والي صديقتها، ثم ابتعدت بسرعة وقالت:

- أعتذر لم أقصد أن أعانقك..

قالت ميلا ضاحكة:

- لقد انتهكتِ لتوك قانونين، إنكِ جريئة للغاية..

ثم أخذت تبكي فجأة وتعلقت بصديقتها وقالت:

- اللعنة على القوانين..

مسدت والي شعر صديقتها بحنان، أضافت ميلا بصوت مجروح:

- إنني خائفة جدًا..

- ميلا، ميلا، لا تخافي.. إن عائد حنون ولطيف، لن يؤذيكِ، لكنه مجنون للغاية، إنني أكرهه الآن.

- لكنني أحبه، لطالما أحببته..

أبعدتها والي عنها وقالت:

- ماذا ستفعلين في الامتحانات القادمة؟

مسحت ميلا عينيها وقالت:

- أنا متأكدة من أنني سأجتازها بنجاح.
- هل ستحصلين على رقم اختبار؟
- أفضل الانتظار لعام كامل.
- الحياة معقدة.. صحيح؟
- أظن ذلك. والي لا تخبري أحدًا بذلك.
- لن أخبر أحدًا يا ميل. اطمئني.

* * * *

إنها واقفة.. عارية تمامًا كجثة في بطن حوت أحدب، تحيط بها أجهزة حمراء كدماء طازجة، شيء يتحرك بداخلها، في بطنها انبعاج غريب، كأن أحدهم ضغط أحشاءها إلى مكان واحد فقط، عائد أمامها بجسده المغلف بمعطف شفاف لا يظهر وجهه، كيف عرفت أنه عائد؟

يأتي إليها، يقترب من المحيط الأحمر الذي يحيط جسدها، ينحني على وجهها بآلة حادة تدور كرحى الهواء في المقاطعة الأربعين تبتعد عنه خائفة، يبتسم برقة ويقبل شفتيها بطريقة قديمة كأرضي متشرد يعرف الغرام.

تبتعد عنه وتهتف:

- سأصاب بعدوى من قبلتك.

يبحلق فيها برعب ويصرخ: لل لل لل لل.. قوات كبيرة من الملثمين تأتي إلى منزلها، تقول إنها تريد ماء لتغطي به جسدها العاري، لا يسمعها أحد..

الانبعاج يتمدد أمامها كسمكة "البالون" التي تنتفخ لتخيف أعداءها.

تصرخ:

- أحضروا الماء لأغطي نفسي.

يقول والدها لعائد:

- إن الحياة معقدة.

يرد عائد وهو يراقب انبعاجها:

- أظن ذلك.. لكن لا تخبر أحدًا بذلك.

ينفجر بطنها، ويخرج طفلًا برأس حوت وقدم تمساح.

عائد يقول غاضبًا:

- لقد اصطاد الرجل تمساحًا بحريًا يا ميلا.. ميلا.. ميلا..

المنبه الآلي يكرر اسمها بشغف كمشتاقة وجدت محبوبها الأول الذي لم تره منذ ثماني سنوات..

أغلقت فم الجحيم برأس يزن قطعة جليدية ضخمة كونتها ثلوج المحيطات الباردة، تنحني على نفسها كمن أوقع نفسه في شراك الحياة ولم يستطع التخلص منها..

تخاف على روحها من ألم تتخيل وجوده في عقلها المظلم بكآبة الحلم، تتمنى ألا تتألم مطولًا. لم يخترعوا بعد بخاخ مداواة القلوب المنكسرة في هذا العالم، وكل بخاخات التئام الجروح غير قادرة على إصلاح أعطاب الروح القلقة.

تنهض من سريرها الوثير المبطن بريش طيور أرضية، لا تحب عملية تخيل إضافة المزيد من الأوجاع على عقلها في محاولة التفكير في كيفية الحصول على هذا الريش.

تغسل وجهها بمياه عذبة كحبٍ خالٍ من المواجع، تنظر إلى ذاتها الحقيقية التي تطالعها عبر مرآة شفافة، تلاحظ تجاعيد التوتر قد حفرت أخدودًا في وجنتها.

تمرر زيتًا مستخلصًا من دهون الفقمة القطبية الشمالية التي انقرضت منذ ثلاث سنوات، على وجهها فيعطيه الزيت لمعانًا محببًا، وتألقًا فوريًا..

تنزل إلى المطبخ حيث تعد فطورًا سريعًا وتنتظر..

دقائق ويندفع عائد إلى غرفة المعيشة حيث تجلس، حيث تبادلا حوارًا حقيقيًا لأول مرة قبل أن يقاطعهما والدها، هل هذه إشارة كونية من نوع ما؟

لا يؤمن عائد بوجود غيبيات كإشارة كونية، لقد احتل الفضاء أناس مثلنا، هذا ما اعتاد على قوله دائمًا.

يقبل شعرها بشغف، تبتسم له بوله.. إنه حلمها الذي تحقق أخيرًا، ولن تسمح لمجموعة غبية من المشاعر المتضاربة أن تأخذه منها.

يجلسان كأي حبيبين يتبادلان الطعام، وتلف الأحاديث بينهما في دائرة مغلقة بالود، لم يتحدث عن الزفاف المرتقب. وهو ما أراحها بشدة..

حان الوقت الآن...

يحتل عائد الأريكة الوثيرة التي تتشكل حسب الرغبة إلى مقعد أحادي، وسرير للظهر بالإضافة إلى عملها الأصلي..

يشير إلى جميلا بالاقتراب.

تقترب بحذر في البداية ثم تضع ذراعها على يده، ويفتح التلفاز..

موسيقى البرنامج، إعلان عن الكوتشي الذي يمنح الأقدام طاقة عالية من أجل الركض المثالي.. يصلح للمشي به في الممرات المخصصة للمكوك وفقًا لقانون الحماية المدنية، سيكون نقلة نوعية كبيرة للأحذية قريبًا.

تظهر مذيعة لامعة صغيرة الملامح، سوداء البشرة، لا بد أنها قامت بتغيير لون جلدها مؤخرًا ليتناسب مع موضة العام الفائت للبشرة السوداء الزيتونية!

تتحدث عن إنجازات العلم في العالم الجديد، وتعزو الفضل الكبير إلى العالم فرح الذي لولاه لمات الملايين من ارتفاع نسبة الملوحة، والضغط الكبير، والبرودة..

يظهر والدها مبتسمًا كشاب عشريني بديع القسمات، تشعر بالفخر، فتضغط على ذراع عائد الذي يربت يدها مبتسمًا بثقة مَن حاز ابنة العالم المشهور فرح..

تطالب المذيعة والدها أن يتحدث عن أشهر إنجازات حياته، يقول ناظرًا إلى ضوء المحاكي:

- ابنتي..

تضحك المذيعة، ويبتسم والدها بفخر، تشعر جميلا بالخجل وتتوارى في كتف عائد، إنها لا تستحق هذا الإنجاز بالفعل..

تبدأ المذيعة اللامعة ذات الأقدام البلورية بأسئلة علمية لم تدرك ميلا منها حرفًا، وإن كان عائد يتابع أجوبة والدها بشغف حتى أنه بدأ يدوّن مجموعة من الملاحظات عبر أسورته المتصلة بالإنترنت.

تقول المذيعة ناظرة بشكل مباشر إلى العالم فرح:

- سيدي.. ما رأيك بالمشروع الألفي الذي تقوم به حكومتنا المجيدة؟

قال بهدوء:

- أتعنين ذلك المتعلق بالأرض القديمة المقدسة؟

تهز المذيعة رأسها.. يكمل:

- إنني أرى بكل وضوح أن العالم الجديد في حاجة إلى التوسع الدائم، وكون الحكومة المجيدة قد قررت ضم أرض مقدسة إليها، فإن الحكومة بهذه الصورة تعترف بقدسيتها، وأظن أن القيمة المقدسة ستكون أكثر تبجيلًا من الحكومة هنا منها على الأرض القديمة التي لا تزال تعاني. إن هذه المشروعات ذات وجهين، وتعتمد على مدى الرؤية الإيجابية لها..

- هل ترى أنه من الصحيح قيام تعاون بين العالمين؟

- التعاون قائم بالفعل منذ نشأة العالم الجديد، لن نستطيع أن نتخلى عن الأرض القديمة، وهم لن يعيشوا إن تخلينا عنهم..

تأخذ المذيعة لحظات صامتة.. إنها تفكر إن كان هذا العالم المخبول تمامًا قد أصيب بنوستاليجا أرضية.. لطالما كرهت "ماندي" العلماء وأمثالهم، لكن ظروف عملها تجعلها تتحمل سخافتهم التقنية، وكلماتهم اللوذعية التي تثير حنقها..

تنظر ماندي إلى وجه العالم فرح برقة.. إنها تعرف ابنته معرفة شخصية، لقد تقابلتا يومًا ما في مكان ما، وتركت الفتاة انطباعًا جيدًا، لكنها لا تزال لا تفهم كيف استطاع هذا العالم المخبول أن ينجب ابنة بهذه الرقة؟ إنه إنجازه الوحيد بالفعل الذي يستحق عليه تهنئة قلبية خاصة..

تبدو على العالم فرح علامات الفخر الذاتي، إنه مسرور بإجاباته المقنعة، يرجو فقط ألا تكون والي الغبية قد لاحظت الرسالة التي وصلته منذ ساعات عدة..

لا بد أن يقوم تحالف ما بين الأرض القديمة والعالم الجديد، وإلا لضاعت ذكرى زوجته الراحلة هباء..

تنظر ماندي إلى المحاكي أمامها، ينتابها الشعور بالفراغ الذي أحست به في المرة الأولى التي جربته فيه.. إنها تتحدث إلى نفسها، لا تصدق أنه في هذه اللحظة يوجد ملايين من البشر المتطورين جدًا يراقبون أدق تفاصيلها.. لا شيء يكتمل في حياتها، كالمحاكي الذي تجلس أمامه بغباء تسأل عالم في شؤون علمية أغبى.

تسأله برقة:

- ما آخر الأبحاث المتطورة على الساحة؟

تأخذ العالم غرة.. ما هذا السؤال المفاجئ؟ يكتشف فرح بأنه لم يعد متابعًا للساحة العلمية كقوة عالية الجودة.. مهلاً هل بدأ نجمه بالأفول بالفعل! عائد يندفع إلى ذاكرته معلنًا وجوده بقسوة.. يقول:

- أبحاث استخلاص جينية..

تقول:

- هل من الممكن أن تلقي لنا مزيدًا من الإيضاح حول هذا الموضوع؟
- بالطبع... لطالما كانت الأبحاث المتعلقة بالجينات هي الشغل الشاغل لدى العلماء منذ قرون طويلة. استخلاص الجينات المختلفة كان حلمًا يومًا ما، لكن المطلوب هو تحقيق كمال هذا الحلم، لذا

تعد عملية دمج إحداثيات الجينات معًا تجربة فريدة ومتطورة من نوعها.

تكتفي المذيعة بهذه الإضاءة.

ملامح تحدٍ عبرت وجه العالم، ما رأيك بهذا يا عائد؟ يمكنه أن يتخيل مساعده يبتسم برضا. إنها هدية زفافك يا فتى.

- لماذا توقفت فجأة عن إدارة الاختبارات التابعة للحصول على الأرقام؟

غامت ملامح العالم فجأة كقنبلة نووية كسول لا تنفجر إلا في وقت لا يتوقعه أحد، إنها قنبلة حديثة الصنع حتمًا.. وقد قضت على أغلب الناس غفلة، كهذا السؤال.

- لم تعد الاختبارات تستهويني بالفعل، إن العمل في المختبر يأخذ وقتًا طويلًا.

- هل تذكر من آخر من أعطيته رقمًا جيدًا؟

- مساعدي عائد..

ذكرى حمضية تعانق مخه الذي أغلق نفسه على هذه الأفكار.. عائد وهو يقف بمعطفه المشع يحصل على رقم اختباره الأعلى، وإلى جواره.

- هل تذكر من كان آخر من أعطيته انحدار؟

- زين..

تنكسر زجاجة في يد عائد، يتناثر المشروب على ثوب جميلا الأبيض، كتلوث نفطي من الصعب إزالته، يهتف عائد معتذرًا برقة، يمسح الثوب بيده المضرجة بالدماء فيزيده تلوثًا ماديًا.. تقول جميلا:

- انتبه إن يدك تنزف.

لا يسمع الأمر، يفكر في نزيف آخر، زين..

ذكرى حمضية تصعد من حلقه الجاف وتنهمر من يده المضرجة، تخرج مع قطرات الدماء كرغبة تتصرف بمفردها تبغي الخروج...

أين زين الآن؟

ذلك الشاب المنحدر لأنه لم يحصل على رقم اختباراً لماذا؟

بسبب عائد، لقد دافع عنه..

يمسح عائد الثوب ويجمع الزجاج، جميلا تصرخ بشيء، وكذلك زين..

لقد صرخ بوجهه يومًا، انتبه إليها بروحك، احتفظ بها، لأجلي.

أوغاد يرتدون معاصم سوداء جلدية في اليد اليسرى، يقتربون من صديقه..

الدماء مجددًا..

إنها دماء زين الذي يتلقى الصفع بدوره والركل.

إنه ينهض ليحارب.

الدماء مرة أخرى.

تقول المذيعة: "لماذا حصل المدعو زين على انحدار؟"

- كانت علامات أسورته سيئة جدًا، إنه مصاب بمرض نادر.. لقد جرح الآخرين وأدماهم، وأنت تعرفين عقوبة ذلك أليس هذا صحيحًا؟ على الرغم من أنه كان جيدًا من الناحية العلمية، لكن الحياة هنا لا تتجزأ.. إما أن تعيش كُلًا مثاليًا، أو تنحدر إلى الأرض بجزء ناقص..

- القانون هو القانون...

تندفع ملامح الشاب المنحدر عابرة وجه فرح... عندما رآه للمرة الأولى قرر أنه مشاغب، ولن يحصل على رقم..

لماذا؟!

هذا ما تقرر هنا.. هكذا يسير النظام، قال المسؤولون إنه خطير..

شيء ما ليس طبيعيًا عبر ملامح الشاب الأسمر النحيف ذلك اليوم، نظرته إلى الحياة كانت مختلفة، كأنه ينظر من ثقب أو شيء من هذا القبيل.. عيناه رماديتان مشعتان.. والده رجل تجارب مشاغب للغاية.. ابنه أذكى من اللازم.. أكثر خطورة..

سأله:

- لماذا ترغب برقم اختبار؟

أجاب:

- لأعيش بالقانون هنا..

سأله:

- لماذا لم تحترم القانون لتحصل على رقم؟

يصمت لبرهة ثم يجيب:

- هناك مواقف أكبر من القانون أكبر مني، أكبر منك، أكبر من الحياة يمكنك لأجلها أن تخرق القانون..

سأله بسخرية:

- أها حقًا! ما تلك المواقف؟

- الإنسانية..

- أهذا مصطلح أرضي استخدمته لتوك؟

- لا...
- لقد استخدمت مصطلحًا أرضيًا، مصطلح المواقف الأرضية لخرق قانون متطور.

تمسك جميلا بيد عائد بقوة، تجعله ينظر ناحيتها، دموع خلف عينين تنحدر كشلال غزير..

تحضر بخاخ الجروح، يبعد يدها، يقول بنشيج:

- كلا.. دعيني أشعر بما أحس به ذلك اليوم، دعيني أتألم لثانية واحدة..

قالت بعنف:

- سيصاب جرحك بالتلوث الإشعاعي القادم من المحاكي، ومبرد الهواء.. أعطني يدك.

تمسك يده بحدة، يحاول الابتعاد فتقترب وترش البخاخ على يده كلها.

يراقب الدماء وهي تختفي، والجراح وهي تلتئم..

يميل على كتف جميلا ويقول:

- كلا، زين لم..

تسكته فتاته برقة وتقول:

- أخبرني.. ما الذي تشعر به فقط؟

يهمس:

- الخوف..

* * * *

حفلات الزفاف دائمًا ما تكون حزينة، دائمًا ما تمتلئ بالزيف، الفرحة المجتلبة بعنف وسادية على وجوه المدعويين تكون قاسية حقًا، الكل

يبرز أسنان القرش المثلمة التي يمتلكها، ويصفق كدولفين غاضب غير مدرب جيدًا، لذا أخفى العالم الجديد زيف المراسم الزفافية الحمقاء، وصار الزفاف حفلة لقاء بسيطة في أي مطعم، أو نادٍ، أو ملهى.. تجلس العروس إلى جوار حبيبها برقة ويتحدثان في أي شيء أحمق وانتهى الأمر. لكن التي ستتزوج هي جميلا، ابنة العالم فرح، وعائد أشهر مساعد لعالم على الإطلاق، الثنائي الأخطر سيكونان معًا إلى الأبد حسب القانون الجديد.

لذا كان لا بد من حفلة مزيفة مشهورة.

تألقت ميلا بثوب لطيف مصنوع من قماش خفيف كألوان الطيف، يبرز جمال أعطافها، ورقة انحناءات جسدها المثير، طلب منها عائد أن ترتدي خاتم السرة الخاص بها، لسبب في نفسه فأطاعته... كان يبدو ملائمًا لبطنها المشدود كاستعراضية خرجت لتوها من مرآة تجميلية آلية غالية الثمن، تعرض نموذج المحاكاة المثالي للفتيات...

عيناها الذهبيتان تلمعان بالشغف، كإضاءة البذلة الطويلة التي ارتداها عائد الذي وقف بكبرياء يتلقى التهنئة من الضيوف الذين ملأوا الحفل.

تتقدم المذيعة ماندي وبيدها عصير فواكه بحرية مسكر، وتقول إليها:

- تبدين متألقة بامتياز..

تبتسم جميلا وتقول مجاملة:

- ليس أكثر من تألقكِ في البرنامج، كان مذهلًا بالفعل..

ترتشف ماندي العصير وتقول:

- الجميع متألق جدًا اليوم، هل نأخذ تذكارًا؟

تتخذان وضعية وتلتقط لهما الكاميرا الرقمية المعلقة في أذن المذيعة صورة متحركة لطيفة..

- يبدو الكل وكأنهم في حفلة تنكرية أليس كذلك؟ أراهن أنكِ مرتعبة للغاية...

تبدو نبرة المذيعة كالعالم ببواطن الأمور، ترشف عصيرها وتراقب بطرف عينيها العروس المبتسمة، عائد بعيد جدًا، هناك في آخر القاعة، إنه كما اعتادت على وجوده، الابتعاد.. لكن ها هو يلقي نظرة على زوجته، ويرفع بنصره إلى رقبته مقلدًا أهل المقاطعة العاشرة.. وهي إشارة أضحكتها للغاية، يلتفت عائد بكليته ومشروبه اللامع إلى محدثه الذي يخبره عن حاجتهم إلى المزيد من العلماء اللامعين، وخاصة بسبب المشروع الألفي للحكومة، الذي على وشك أن يحل العديد من المشكلات. يعتذر عائد بأدب جم، إنه منشغل بأبحاثه بالإضافة إلى مساعدته للعالم فرح، يعده الرجل ضئيل القامة الذي يعمل في جوهر المشروع الألفي بترقية سريعة وحصول فوري على رقم اختبار أول، ومن ثم يمكنه أن يكون الرئيس المباشر لمجموعة من العلماء يعملون تحت قيادته. يعده عائد بالتفكير في الأمر..

الجو خانق جدًا، ربما بسبب القرش الكبير المشوي الذي يكاد دخانه يعمي الأبصار، وحساء البارو الساخن الذي يرتفع دخانه إلى أعلى كأرواح الذين التهمهم الحوت المصنوع منه الحساء.

تخفف بعض الناس من ملابسهم، وألقوا معاطفهم المتألقة كيفما اتفق على ظهور المقاعد، أو أكرة الأبواب الزجاجية.

تقف ميلا للاحتفاء بالضيوف، تلاحظ ملابسهم الرسمية الجافة، لكن ها هي والي تأتي مسرعة نحوها وقد ارتدت ملابس خفيفة مما أشعر جميلا بالامتنان، تقول والي:

- إن حبيبكِ لذيذ، أجزم بأنني سألتهمه إن كان لي وحدي.

نكزتها ميلا في ضلعها فتصنعت الألم، سألتها:

- هل أنتِ بمفردكِ هنا؟

قالت والي وهي تحصل على كوب شراب من حامل آلي قصير يسير بين المدعويين كقزم أسطوري مضحك:

- لم يأتِ سايد. تعرفين هوسه بالحصول على رقم اختبار، يعادل هوس عائد بالحصول على كائنه الذكي.
- أنتِ لم تخبري أحدًا صحيح؟
- قطعًا لا، عيب عليكِ يا ميلا، حفلة بهيجة يا عزيزة.
- حفلة بهيجة لكِ أيضًا يا حبيبتي..

تقول والي وهي تقترب بخطر من صديقتها:

- لا تتحركي إنها هدية بسيطة.

تشعر ميلا بملمس بارد يعبر قفاها، وتلمع حجارة حمراء على صدرها تتوهج وتشتعل، تقول والي:

- حجارة بركانية حية يا ميل، صنعتها خصيصًا من أجلك.

تقول جميلا:

- إنها جميلة للغاية يا والي.

كانت حمم بركانية مشتعلة إلى الأبد ترقد داخل مشكاة زجاجية تمنعها من الانطفاء الأبدي، تقول والي:

- هذا عربون حبي الأبدي لكِ..

تلمس ميلا الحجارة البادرة من الخارج، وتتساءل كيف لا تزال مشتعلة داخليًا، وتحافظ على ملمسها البارد؟ تشرب والي عصيرها بفخر.. يقترب عائد، ويهتف:

- الصديقة المشتعلة والي في حفلتي.. أوه يا له من شرف لي!

تقول والي مقطبة:

- لقد جئت من أجل ميلا فقط.

- لقد خدشتِ كبريائي يا والي.

تهتف الفتاة بعصبية:

- إذا جرحت ميلا سأنفيك إلى الأرض القديمة بنفسي.

يلمس خدها المشتعل الغاضب ويقول لميلا:

- إن لديكِ حامية قوية يا عزيزة..

تضحك جميلا على عبثه مع صديقتها، التي تقول وهي تبعد شعرها عن وجهها بفخر:

- نحن كالتوأم المتآخي بالدم تذكر هذا دائمًا..

تبتعد ملقية ابتسامة اتجاه جميلا، يقول عائد مدعيًا التوتر:

- ما الذي لديها ضدي؟

تجيب فتاته وهي تراقب جسد صديقتها تبتلعه الجموع:

- ما الذي لديها ضد العالم؟

يلمس السلسلة المعلقة برقبة ميلا ويقول:

- إنها جميلة جدًا، من صديقتكِ المخبولة أليس كذلك؟
- بلى. إنها تعجبني جدًا..
- تروقكِ بالفعل. ميلا..

يمسك بكفها الصغير..

- أنتِ لستِ نادمة أليس كذلك؟
- بالتأكيد لست نادمة، إنك حلم يتحقق... تشدد على أصابعه..
- ألن تتراجعي؟
- هل ستتراجع أنت؟
- أبدًا..
- أبدًا..
- أبدًا...

تقف والي بعيدًا تتابع الزيف الجماعي الذي يجتاح القوم، تعجبها رائحة الحساء، تقترب من الطاولة، تمد يدها وتغرف طبقًا كبيرًا.. إنها لن تقوم بحفلة زفاف أبدًا، يا للبؤس القهري!

زفاف غبي في العالم الجديد! يا للسخرية التقليدية!

تشرب بالملعقة الحساء الذي تتراقص فيه قطع من اللحم الذهبي المدهون بالصوص الحار، إن رائحته أجمل من طعمه بكثير..

تشعر بأنفاس على مؤخرة عنقها، من الذي يقترب منها إلى هذا الحد؟ لو كان سايد ستوسعه ضربًا ولن تهتم بكل أساور العالم اللعينة.. تلتفت بحدة على وشك توجيه الصفع.

تطالعها عينان واسعتان ووجه به وحمة تبتلع جزءًا من خده الأيمن.. يقول رامي:

- حساء البارو إذًا!

كان يرتدي ملابس رسمية صفراء اللون، الحذاء الكبير برقبة إلى الساق، وبنطال ضيق وفوقه معطف من الجلد الأصفر الأصلي..

تقول:

- لا أصدق أنك هنا.

يدخل أصابعه ويأخذ قطعة من اللحم الذهبي، يضعها بين أسنانه ولؤلؤته ويلوكها متلذذًا:

- لقد تلقيت دعوة.

تهتف بسكون:

- اللعنة على ميلا...

يهز كتفيه، يأخذ قطعة أخرى من حسائها ولا تعترض، تشرب الصوص اللذيذ الذي ذابت فيه يداه منذ قليل.

يقول ممازحًا:

- ولم أنتِ هنا؟

- لتناول الحساء المجاني.

يضحك، تبرز لؤلؤته المزيفة على سنه المثلوم، يقفان في نهاية القاعة متجاورين كلوحة لبؤس الرغبات غير المشبعة، يقفان بصمت الموتى الأحياء، يتشاركان الحساء برغبة الجياع إلى الحب..

تقف جميلا بشموخ أميرة متوجة أسطورية إلى جانب عائد الموقر، يوقعان بهدوء عقد الزواج الأبدي.. يهتف رامي:

- يا للسخرية.. يكز على أسنانه.

تكمل والي ارتشاف الحساء المصنوع بأصابعه المرغوب فيها.

تنتهي الإجراءات الغبية جدًا التي تسجل ضمن آلات معدنية تصدر صفير ترحيب كلما ضغط المدعوون عليها، وكأنها احتفالية قائمة بنفسها لا تدرك الذي يجري.

يأخذ رامي كوبًا من الحامل المعدني الآلي الذي يدور كربة منزل ممتازة، يرشفه مرة واحدة ويعيده إلى القزم الغبي، ويقول بعنف:

- سأرحل عن هذه اللعنة.

تمد والي يدها لتمسك بمعصمه، لكنه يكون قد وصل إلى الباب بالفعل، تعيد الطبق إلى مكانه، وتقتفي أثره كما اعتادت أن تفعل هذه الأيام. يا لها من كومة بائسة من فضلات الأسماك!

يمسك عائد بيد ميلا، يساعدها على ركوب سيارة كبيرة دون عجلات، تطفو بالمجال المغناطيسي فوق السير المخصص لها، ويرحلان..

تقول ميلا:

- أوتش! لقد تعبت للغاية..

- ليس بمقدار تعبي.. لقد تلقيت عروضًا بالعمل في هذا الحفل بدءًا من مدير مشروع الألفية الجديد، انتهاء براقص استعراضي في فرقة "والا دانس".

تضحك ميلا وتميل على كتفه، تتنهد:

- لا أصدق هذا فعلًا..

تلمسه بيدها..

- أنت حقيقي.. حقيقي جدًا.

- هل تخيلتِ جسدي مصنوعًا من الجلد الناعم الشفاف كالقناديل؟

- لا تخيلتك حلمًا غير ملموس!

- أنا سعيد جدًا.

- وأنا أيضًا.

يصلان إلى المنزل.. بيت عائد كبير وجميل، لم تدخله أبدًا وإن كانت قد مرت به عدة مرات مع والدها، لكنها لم تجرؤ يومًا على افتعال أزمة زيارة تهدئ ثقل قلبها الحائر.

المنزل من الداخل مرتب وبسيط، أقرب إلى مقر ليرتاح في عالم بعد عمله الشاق، منه إلى منزل أسري.. قررت بأنها ستصنع شيئًا ما حيال هذا الأمر.

تقف ميلا على الأرضية البلورية، يجثو عائد على ركبته، يقول برقة:

- أرجو ألا ننسى السبب من زواجنا يا ميل..

تقول مبتسمة بخوف:

- هل ستبدأ الآن؟

يهتف معتذرًا:

- أظن أن هذا أفضل لكلينا..

وبعد نصف ساعة وجدت ميلا نفسها عارية جدًا داخل حجرة مضاءة باللون الأحمر كالدم الصافي من أجل إجراء فحص شامل، وتذكرت

الانبعاج في بطنها الذي يبدو لها الآن كحلم، ويتحول الحاضر فجأة إلى كابوس مروع!

* * * *

الانسحاب صار هو أسلوب الحياة الذي ينتهجه رامي هذه الأيام..

منذ عدة أيام انسحب إلى غرفته جارًا زعانف الإحساس بالخيانة الحامضي، وأغلق على نفسه شرنقته الانعزالية ليعيش في صمت الأموات، وقد أسفرت عزلته الجبرية غير المبررة بالنسبة إلى والديه عن انسحابه الثاني من الفريق، واعتذاره عن المشاركة في مباريات القمة، وهو ما جعل مدربه يكاد يُجن هلعًا من قراره المفاجئ، وانسحابه من الفريق أدى إلى انسحابه من المجتمع العالمي ببطء، فأغلق صفحته الرسمية على حسابه على موقع لاين التعارفي لجمع الأصدقاء وتعريفهم ببعضهم بعضًا، وصفحته على الشبكة العنكبوتية المختصة بأخبار الرياضة، خروجه من المجتمع كان فرصة مثالية للهروب نحو الذات، ظل أغلب الوقت يبحث عن معلومات عن الأرض القديمة وسكانها، وقام بحفظ هذه المعلومات في فلاشة برقم سري خاص ببصمة العين لا يمكن غير لصاحبها فقط معرفة محتوياتها، بل إنه تعرف من خلال إحدى المواقع المقرصنة على شاب أرضي تبادلا الأحاديث والمعلومات كل عن عالم الآخر، ويكاد يقسم بأنه شعر بأن هذه العلاقة هي أقوى من أية علاقة حقيقية كان قد حظى بها منذ رضاعته.

أخبره الشاب أنه على معرفة بأصحاب الأطواق الحمراء والمعاصم السوداء الجلدية، وطلب إليه أن يذهب إليهم إن كان "مهووسًا

بمعلومات عن الأرض القديمة" على حد قوله. بدت كلمة مهووس غريبة على سمع الشاب الضخم، الذي كان يقوم بإجراء زيارته إلى ممر العصور الساحقة بحديقة المياه الساحرة، ما كان قادرًا على السفر حتى المقاطعة الخامسة أبدًا؛ بسبب عزلته الإجبارية، وما كان ليجرؤ على التمشية بين حديقة الذكريات حيث كانت أفخاذ جميلا ناعمة للغاية وتعد بالجنة.

كانت جرعات حساء البارو التي التهمها، واستطعم فيها رائحة اللحم الإنساني المتحلل داخل أنسجة الحيتان الميتة، وجرعات الشراب الدافئة المسكرة، ورؤية العقد الآلي وهو يعلن بصوته المرح اللعين زواج ميلا حبيبته السابقة الخائنة من مساعد العالم فرح الشاب، كل هذا أعطاه طاقة سلبية قوية للذهاب إلى المقاطعة الخامسة.

القطار الذي يسير بسرعته الرهيبة على قضبانه الممغنطة في قدر أبدي يرتبط به، تذكره بلعنة الحياة وسط القروش تحت المياه، ضغط هائل اندفع بين ممرات عقله يسأل نفسه كيف تحمل الحياة طوال هذا الوقت؟ أكانت ميلا، جميلا المخدر الذي جعله يتناسى مؤقتًا المحنة التي تؤرقه منذ الطفولة، والتي لم يعلنها لأحد خوفًا من الاتهام بالمرض النوستاليجي الأرضي، ومن ثم لا يحصل على رقم اختبار، كما حدث لعمه الذي نفي إلى الأرض وانتحر في عبارة الانحدار المشؤومة التي كانت ستقله إلى مصيره الجديد؟

إن القطار الذي يسير بقوة المغناطيسية التي تجذبه إلى القضبان لا يفكر حقًا في محنة الركاب داخله، كما لا يفكر الإنسان بقطع البارو التي التهمها.

يتوقف رامي عن التفكير فقط بهذا الأمر، يعلن أنه ليس بحاجة إلى المزيد من حساء البارو، أو شراب نجمة البحر المعتق.

ينزل إلى المحطة التي تمتلئ بالركاب، فتاة صغيرة تبكي تتعلق به، ينحني على الأرض ليسمع شكواها، إنها تتكلم بلكنة أصحاب المقاطعة الخامسة الغريبة، يسألها بهدوء:

- هل أنتِ بخير؟

لا تفهم الفتاة السؤال الغريب، تتعلق به أكثر، تشير إلى محل إلكتروني هناك، يذهب بها إلى حيث أشارت، تراه صاحبة المحل فتشكره على رد الفتاة الصغيرة، يسأل نفسه عن فعل الصغيرة، والخوف غير المبرر الذي جعلها تحجم عن قطع المسافة الصغيرة بين قدمه والمحل بمفردها لكنه لا يتعب عقله بالبحث عن إجابة تستحق التفكير. تدخل الأم إلى المخزن لتحضر له عربون شكر، يسأل الفتاة مجددًا:

- هل أنتِ بخير؟

لا ترد قال لها:

- قولي أنا بخير.

تقول بابتسامة شقية:

- أنا بخير.

يربت على شعرها، تأتي الأم وتقدم له زهرة برية محنطة وتقول:

- شكرًا لك.

يتقبل الهدية ويرى أنها الرسالة المنتظرة بالفعل.. زهرة أرضية محنطة، يضعها في سترته ويتجه بخطى حثيثة نحو حديقة المياه الساحرة.

في هذا الوقت الساحر من العالم لا يهتم أحد بالحديقة، إن النافورة الراقصة التي قد تتشكل على أي شيء يخترعه خيالك لا تعمل الآن، فليس بعقل أحد سوى العمل، ثم العمل، ثم العمل... ولن تكون المياه مسرورة بالتشكل بجهاز الأشعة الأحمر الذي يعالج المرضى، أو بعربة البناء الضخمة التي تقوم بتشييد المدن والعمائر، أو بأنبوبة اختبار صغيرة في يد عالم مجنون، أو بأنواع الحقب التاريخية المزيفة في عقل طالب يسعى إلى نيل درجة اختبار عالية..

نباتات الظل باهتة، وكأنها تستمد جوهر وجودها من نظرات الناس إليها وإعجابهم بأشكالها المتباينة الألوان.. وردة بنفسجية أقرب إلى السواد، انتصبت قامتها مرحبة بنظراته، لكنه أهداها ظهره في المقابل فانكمشت على نفسها بخجل..

خطاه الواسعة على الأرضية المصنوعة من خشب يصدر صوتًا أجشًا عندما يصفع قفاه كلما سار بعنف إلى الممر الأسود، دخل بقوة إلى الزجاج الأخضر، وقف يدعي تأمل المخلوقات الأرضية في صمتها الأبدي.. ينظر إلى حجر الجلامور اللامع ويقرأ:

- القط.. انقرض هذا المخلوق من الأرض عندما أقبل السكان على تناوله بكثرة، واستغلال جلده القوي في صناعة خوذات للشتاء، ومنعت الحكومة تكاثر الحيوان بسبب انتشار وباء الجرب الجلدي بسبب الخوذات مما تسبب في بتر ملايين من البشر لآذانهم بسبب الألم الرهيب..

أيها الحيوان المسكين ليعتليك الحزن، وتبول على آذناك القذرة سحابات الأسى، لماذا لم تفكر في الهرب اللعين، لماذا جعلتهم يأخذونك إلى عالمهم الجديد حيث لا قطط؟!

صوت ينبعث من نهاية الممر..

فتاة تقول متصنعة التظرف:

- تذكرني بشخص ما جاء هنا يومًا...

تقترب منه، ينعكس ضوء الحجارة على شعرها الغجري الطويل، وطوقها الأحمر يلتهب بالهراء، ومعصمها الأسود المشدود على ساعدها يخفي الأسورة التي ترتديها، تقول وهي تلهث بالقرب من وجهه:

- أها.. أنت الشاب الذي يقبل الفتيات! لا فتيات اليوم؟

يسأل متجاهلًا السخرية:

- أين جيم؟

تهز كتفيها، تنحني إلى ركبتها، تأخذ علبة مخبأة في حذائها، تفتح الغطاء وتدفع بحبة خضراء إلى فمها، وفجأة تنبعث رائحة منعشة جدًا كآلاف النجمات المحترقة معًا من فمها الصغير، يغمض عينيه متشبعًا بالرائحة السرمدية كوعد برؤية الشروق على نهرٍ جارٍ..

تسأله بهمس:

- أأعجبتك؟

ينظر إليها، تمد يدها بواحدة في ناحيته وتقول:

- كُلها.. لكن ببطء.

يضعها في فمه ويلوكها.. الرائحة المنعشة تصيب خلايا جسده برقصة مرحة موهوبة، إحساس ثلجي يندفع في حنجرته الملتهبة فيبرد إحساسه بالنار الداخلية، تمتص هذه القطعة المثيرة سلبيته وكأن جميلا لم تعد حية على الإطلاق..

يقول:

- ما هذه؟

تبتسم فقط، فجأة يحدث الهجوم المتوقع.. العصابة الحمراء بأكملها تأتي إلى موقعهما، يقولون بصوت واحد هادر موجهين غضبهم إلى الفتاة:

- أتعطينه واحدة ونحن لا!

تبتعد الفتاة بدلال وتدعي بأن ما معها قد انتهى، تضحك منهم، وهم يجذبون شعرها الطويل.. أحدهم دفعها أرضًا وادعى بأنه سيخنقها، كان الموقف عبثيًا للغاية، لكنه بدا مضحكًا بالنسبة إلى الشاب الذي اعتاد التعامل الراقي في فصول المدرسة، إلى الحد الذي جعله يطلب بأدب من فتاته أن تنتظر حتى الزواج من أجل ألا يصابا بأي أمراض قد يتسبب فيها اللقاء التقليدي الحميم.

يا للسخرية!

صوت عميق يقول:

- توقفوا عن العبث هيا..

يبتعد الجميع عن طريق جيم الشاب الضخم الأسمر الذي تقتحم هيبته المكان وتجبره على الركوع طلبًا للرضا.. أقد خلق على هذه الطريقة أم أن جسده أكسبه إياها، أم أنه سعى إلى الهيبة فأتته راغمة؟!

يقول لرامي مبتسمًا:

- أتيت إذًا يا فتى؟

يكمل رامي حلواه اللذيذة ويمد يده مصافحًا جيم الذي أضاف:

- إنك أضخم مما تصورت.. من الواضح أن ياء رحبت بك الترحيب اللائق، إنها في المعتاد خجولة جدًا.

ينظر إلى الفتاة التي تقف في الظلام تبتسم:

- لم أعد كذلك يا جيم.

يسأل رامي:

- أهذه أسماؤكم حقًا! إنها غريبة على الأذن؟

- كلا إنها ليست أسماءنا قطعًا..

شاب غاضب يتكلم.

يقول جيم:

- إنها ستار لنا يا فتى. ما ستارك؟

- ما نوع هذه الأسماء؟

تقول ياء:

- الألفبائية الأرضية.

- آه فهمت.. لكنه لم يفهم حقًا..

- لنعطه اسمًا.. ما رأيك في راء؟

تقترح ياء..

يوافق رامي وقد وقع تحت تأثير الحلوى الثلجية، يقول جيم ضاربًا كتفه:

- مرحبًا بك في التمرد..

يتحلق الجميع حوله بتحية.. لا يلاحظ ملامحهم جيدًا بسبب الظلام، لكن الشاب الغاضب لا يزال غاضبًا، وياء تبتسم بحرارة، بينما جيم يهتف مسرورًا:

- عليك أولًا أن تذهب إلى المقاطعة الثامنة، اشترِ زي الحماية من الإشعاع التتبعي، وارتدِ المعصم فقط فوق أسورتك بالليل.

يقول رامي بتوتر:

- ما هدفكم؟

تضحك العصبة بصخب، وتهتف ياء:

- النجاة من التحلل البطيء.

قال جيم:

- لا أحد يعرف بوجودنا.. نتقابل كل يوم هنا في مثل هذا الوقت، مخرجك هو المخرج الأول على اليسار.

تتطوع ياء بالتفسير:

- لا نخرج جميعنا من المكان نفسه حتى لا نثير الريبة، اخرج من المكان الذي جئت منه.

قال جيم:

- حسنًا يا رفقة، أراكم غدًا. انصراف..

وبغمضة عين كان المكان خاليًا سوى منه وحده، ومن القط البائس.

يبتسم.. أهو يتخيل هذا الأمر؟

لكن القطعة الثلجية لا تزال في فمه تقول: "لا"

يخرج إلى حيث الضوء؛ إن الحياة لا تزال تسير غير عابئة بحفنة من الشباب الذين يرتدون الأطواق الحمراء، ويضعون معاصم سوداء تخفي نقطة اتصالهم بالعالم..

الحياة غبية بما يكفي لأن تنشغل بأمرهم..

الحياة تنشغل فقط بمن ولد منشغلًا بها، ولكن هؤلاء الذين يدعون الانشغال، تلقيهم في ممرات قمامتها العفنة.

يقف أمام الوردة البنفسجية التي لا تزال منكمشة على نفسها، تأبى رفع رأسها الأسود القبيح مجددًا، يضحك لنفسه، يرتد على عقبيه للمغادرة عندما يجد عينين خضراوين وشعر كريمي قصير يطالعه، يهتف في وجه الفتاة المندهشة:

- و.. والي ماذا تفعلين هنا؟

تتنفس بصعوبة..

هل اكتشفت سره؟ إنه فقط لن يهتم بالبحث عن إجابة؛ فالحياة لا تكترث على أي حال..

وتسير والي خلفه بمقدار بوصة واحدة.

* * * *

يجلس عائد في معمله، المجهر العملاق الذي يكبر الأشياء بنسبة عشرة آلاف مرة بالنسبة إلى حجمها الطبيعي، يبدو كأنه عين ثالثة له..

الاختبارات الأولية تسير بشكل جيد جدًا، كان محقًا عندما تخير جميلا كوعاء لمخلوقه الذكي، لقد اكتشف فيها أيضًا صفات وراثية متطورة أخذتها من والدها العالم فرح، منها القدرة على الحساب الآلي الدقيق،

الذي ينتج عن تبئير التركيز الذهني، وكذلك وجد مجموعة من الصفات المكتسبة عن طريق القراءة الفعالة واستمرار عملية التخيل، ناهيك عن مظهرها الجذاب، وجسدها القوي المضاد لعمليات التجفف، وعملية التأثير السلبي على الأجهزة العضوية الخارجية الناتجة عن شدة الضغط.

إنه النموذج الحلم بالنسبة إليه، لقد استغرق حوالي ألفين يوم من أجل الحصول على جينات متقدمة للغاية، تمثلت في مكافحة الجفاف، مكافحة المرض النوستاليجي، عكس عملية التحوصل في المريء والتهابات المفاصل المسببة لشلل الأطراف، مقاومة العمى وضعف السمع، جينات التواصل الاجتماعي الذكي، والقدرة على الاكتساب اللغوي السريع، وسرعة الأداء العقلي، والقابلية للتكيف في أي ظروف بيئية، أو اجتماعية، أو نفسية..

إن هذا الطفل سيكون المعجزة الأولى لهذا العالم الجديد، طفل سيصل إلى القمة بشكل مباشر، ويغير هذه الروتينية التقليدية، طفل سيفكر بمستقبل أفضل للبشرية من البقاء في الأرض القديمة، أو الهرب إلى القمر والمريخ.

طفل لن يفكر كزعنفة متعفنة تسبح في هذا الخراء المضغوط البعيد عن الضوء والحياة، إنه ما يحتاجه هذا العالم لينهض من سباته القاتل، الذي يهدد بتحويله إلى نموذج آخر من فشل الأرض القديمة، عالم جديد يخرج من الدائرة الأبدية لهذه الحياة التي تدور بآلية تقضي على ما تبقى من الإنسانية.

طفل ناتج عن الهندسة الوراثية، طفل ابن العلم الحديث سيكون هو أب العالم الجديد، وهو متأكد من أن ابنه لن يخذله أبدًا.

يظل عائد يعمل بشكل متواصل بمساعدة فاد أو دون مساعدته، يبقى طوال اليوم في معمله ثم يعود إلى منزله للحصول على قسط من النوم ومن ثم متابعة عملية الاكتساب الجينية في الزيجوت، إنه سيلقح جميلا بشكل صناعي لضمان عملية خالية من الأضرار، فعن طريق طفل الأنابيب يمكن أن تتأكد من تشبع العملية بالجينات الملقحة والمتخيرة بعناية دون الخوف من مضاعفات جينية غير متوقعة.

اليوم يجلس في معمله المصغر الذي اقتطع إحدى أفضل غرف منزله لتأسيسه، إنه يطل على ريف بحري كبير، تسبح فيه الأسماك العملاقة ذات الفك الكبير الباسم، تبدو المياه بلورية اللمعان في هذه الليلة، تتوهج إحدى سمكات الضوء بلون أخضر جذاب آملًا في الحصول على شريك لليلة واحدة.

عمليات الاكتساب تسير على نحو جيد وهو ما يشعره برغبة عظمى في السباحة داخل تلافيف عقله من أجل إنقاذ مجموعة ثمينة من الذكريات.

عائد وزين يومًا ما خرجا من إحدى قاعات الدراسة وقد تأبط زين هاتفه الذكي الحديث، هتف زين وهو يتثاءب:

- محاضرة مملة للغاية لقد توقف حاسبي عن العمل مائة مرة، أظن أنه مصاب بعطل تقني في مولدات التبريد.

رد عائد:

- هذا من حسن حظك، إذا ظللت تستمع إلى المحاضرات الآلية في علم التاريخ الأرضي ستصاب بالرهاب حتمًا.

زين:

- أو بمرض نوستاليجا رهيب..

يقول عائد ناظرًا إلى كف صديقه بحسد:

- لديك أصابع فنان، إنك تتعامل مع هاتفك الحديث كما لو كنت معتادًا على هذه التقنية منذ الأبد.

هز زين رأسه:

- إنه والدي كما تعلم، لقد كنت نموذج اختباره، لقد صنع هذا الهاتف بجهدي أنا.
- إنه جميل للغاية متى سيكون متاحًا للجميع؟
- لا أعرف.. ربما لا يتاح أبدًا. أتعرف! لقد تعرض والدي لتهمة المساءلة لانتهاك قانون الحماية المدنية باختراعه هذا الجهاز، وجهوا إليه تهمة "نية إعادة الآلية الإلكترونية"، مما قد يسبب حربًا شاملة.
- لماذا؟
- لأن الهاتف يقرأ عقلك، ويخبرك ما تريد..

هتف عائد:

- أرني إذًا..

أوصل زين قطبًا معدنيًا برأسه، وبسرعته المهولة أخذ يضرب على الشاشة الفضية، وفجأة نطق الهاتف:

- إن زايدا كانت مذهلة، إنني معجب بها.

ضحك عائد فجأة، ثم ادعى الغضب:

- هل أنت معجب بها ولم تقل لي!

تتماثل الجينات عبر مساراتها بصورة دقيقة أقرب ما تكون إلى عملية تخليق كون جديد.. إن العلم يبعث الروح في قلوب الحياة المعتمة.
صوت غريب وكأنه ظاهر من الجينات المرتبة بعناية غير أنه يماثل صوت الهاتف الذكي يقول برقة:

- إذا استطاعوا تخليق الذكاء البشري لتخلصوا من خطر الرعب الآلي للتكنولوجيا الحديثة، ولتوقفت الحروب على سطح الأرض.

ينقطع الصوت فجأة..
تدخل جميلا وقد تلحفت بملاءة ناعمة مصنوعة من الألياف الصناعية الكهربائية التي تحتفظ بدرجة حرارة الجسم في أي وسط كان، إنها ذات الآلية التي تعمل بها أجساد ذوو الدم البارد من الحيوانات.
المعمل كقطعة صقيع اعتادت على زيارتها ووالي من أجل ممارسة التزحلق الجليدي، لكن الاختلاف أن عائد الذي من المفترض أن يكون زوجها، قد جلس هناك بأريحية تامة منتظرًا نتائج كونية مبهرة من المتوقع أن تظهر على ابنهما..
يا للإحباط الأسري العنيف الذي داهمها بقسوة غير مسبوقة! تقترب منه برقة، تصرخ بعنف مكتوم..
يلتفت بابتسامة رقيقة كحوت مفترس غير جائع..

- غاليتي، المعمل خطر عليك..
- وعلى ابني أيضًا. ماذا تفعل؟
- أقوم بتنظيم الآلية الجينية في خطوط مستقيمة حتى تعمل بكفاءة كبرى، ولا تختلط الجينات مما قد يسبب تأخرًا في الاكتساب الجيني

للزيجوت، أو أن يؤدي إلى حدوث طفرات غير مستحبة فيتسبب بإفساد التجربة كلها..

فغرت جميلا فاها وتلمست الخطوط السوداء التي تحد المجهر الآلي، قالت برقة:

- لم أفهم ذلك، هل الأمور على ما يرام؟

- من الصعب التأكد في هذه المرحلة... تعرفين يجب زرع الناتج في رحمك أولًا.

- ماذا إن فشلت التجربة؟

نظر إليها مطولًا، ثم أطرق لبرهة:

- إن الفشل جزء من مسيرة النجاح، وكأنهما صنوان، لكن لا تقلقي.. سأحرص على نجاحها بقوة لأجلكِ، لأجل ابننا.

جلست تحت قدميه على الأرض، أولت ظهرها إلى الحائط وقالت:

- سأجلس إلى جوارك.

تكاد تجزم بأن برودة الجدار تسللت عبر ثقوب روحها ودخلت عميقًا إلى قلبها.. رؤية من تحب جالسًا إلى جوارك قريبًا جدًا إلى الحد الذي يعجزك عن مجرد التفكير في لمسه، هكذا هو عائد دائمًا منذ عرفته، العالم الخجول المنطوي على أسراره الخاصة التي لا تفضحها سوى تجاربه التي تعكس روحه الممزقة..

تتمنى لو اقتربت منه وربتت على كتفه ثم سألته بقوة عما يضايقه؟ ولماذا لا يمكن أن نكون شخصين طبيعيين؟ ولماذا هو قلق إلى هذه الدرجة من مصائر مجهولة تتربص بأذيال رعبه من الخيبة؟ وتأمل أن يجيبها وقد

استكانت رأسه على قلبها، لتتوافق دقاته مع إيقاع كلماته العليلة فيحدث الشفاء.

إن ابنهما قد يكون نقطة التقاء حقيقية بينهما، طفل يحمل بذور القلق داخل ثمرة جميلة الشكل، هذا الطفل المعجزة، ألن يكون مريبًا!

إن الأرض القديمة لا تزال تعاني ويلات الحروب التكنولوجية بسبب "انفلات النظام الاستعبادي للروبوتات المقاتلة" مما جعلها ذات تفكير متفرد لا يمكن السيطرة عليه، إن مصانع الروبوتات المقاتلة لا تزال تنجب آلاف القطع يوميًا للقضاء على ما تبقى من أهل العاصمة، هناك حليقو الرؤوس، لا شيء هناك كامل، فكرت أن مخترع الروبوت المقاتل لم يرد على فكره سوى إقامة النظام في العالم ومنع الحروب أيضًا.

إن التاريخ يعيد نفسه، وهذه المرة بأصابع عائد التي تعبث بالجينات.

تقول بهدوء:

- تعرف بأنني أنهيت آخر اختبار لي اليوم!
- حقًا؟ نسيت سؤالكِ عن ذلك، كيف كان؟
- أحمق..

لم تكن تعني الاختبار.

- أها.. إن مادة التاريخ الأرضي حمقاء دائمًا.
- كانت مادة المهارات اللغوية الحاسوبية.
- أوه! أعرف أنكِ جيدة فيها، لقد أسستِ نظامًا يعتمد على قوة الصوت المحيط في تسهيل عملية القراءة الآلية أليس كذلك!

هذا ما لم تتوقعه أبدًا.

- كيف عرفت بذلك؟ لقد مضى وقت طويل.

التفت إليها ونظر إلى الأسفل مطولًا حيث قبعت وقال:

- لقد كنت أراقبكِ منذ مدة طويلة للغاية دون أن أدرك ذلك..

عاد إلى مجهره وآلته الصغيرة التي بإصبعه وكأنها عقلة إضافية، لم تكن تعرف أي الشخصين هو.. هذا اللامبالي، أم الآخر المهتم!

- أكنت تراقبني كوعاء مناسب لك؟

قالت ضاحكة، وإن كانت تبكي بانتظار سماع إجابة أقل سلبية، تحافظ على ما تبقى لديها من كبرياء، أخذه زفاف فاشل لعالم مخبول.

توقفت أصابعه عن العمل لبرهة، ثم عاد إلى مجهره، وقال:

- لم أفكر فيكِ كوعاء.. أعني الآن فقط أنتِ أم لابننا.

إنها إجابة أقل سلبية.. إنها سعيدة، على الأقل تستطيع أن تقدم شيئًا ما.

- متى تظن بأنك مستعد لحقني بهذه الأمور؟

- ليست هذه الأمور سوى ابنك.

- حسنًا بابني ذي الأمور.

ضحك:

- ليس قبل مائة ساعة على الأكثر.

- هذا كثير جدًا، ماذا أفعل في غضون هذا الوقت؟

- راقبيني.

وضعت يدها على كتفه لهنيهة لم تتوقف فيها أصابعه.

- لقد راقبتك دائمًا..

نظر إلى ظهرها الممشوق الفخور بساقيها الطويلة الساحرة.

- وأنا أيضًا.

لم تلتفت إليه، أكملت طريقها بعيدًا كما كانت تفعل دائمًا معه.

قال زين يومًا ضاحكًا سأصير عالمًا كبيرًا، أتحدى كل من وقف في طريقي، وربما حينها أتزوج ابنة عالم كبير جميلة.

يأمل فقط بأن تكون الأرض القديمة تقدر عقليات مفيدة، وتقدم فتيات جميلات لأجل صديقه الغالي المنحدر إلى الأرض.

* * * *

لقد انتهى كل خير على لا شيء

تنتظر والي أمام تلك النافورة البائسة التي انتقلت إليها أطنان الإحباطات التي تقبع في صدر الفتاة..

لم يهتم والدها بها عندما أخبرها بأنه سيسافر في رحلة طويلة لدراسة جودة الأرض الجديدة التي سيقوم عليها المشروع الحكومي الألفي المتعلق بتلك الأرض الحمقاء المرغوب فيها، سأل فاد بدهشة إن كانت الأرض القديمة قد تنازلت عن تلك القطعة الأرضية التي تعد مقدسة بالنسبة إليهم، أجاب الأب بلهجة الخبير اللامبالي: "إنها مسألة وقت قبل أن يعلنوا عن تنازلهم علنًا.."

كان الإعلان الجديد بمثابة تحطم لصخور الأمل بواسطة قطرات الواقع الضخمة، هتفت والي محتدة:

- أخبرتني بأنك ستنتظر حتى حصولي على درجة الاختبار، وتجعلني اليد اليمنى لك.

قال والدها وهو يبعد شوكة من طبقه ويغمسها في إناء مذيب الأشواك السمكية:

- إن الوقت ضيق، يمكنك أن تأتي إليّ عندما تحصلين على درجة الاختبار..

قال فاد:

- لقد سمعت أن الاختبارات ستعقد في المرحلة المتأخرة من هذه الأيام بسبب القضايا الجديدة..

رد الأب:

- لذا لن يسعني انتظاركِ يا والي، سآخذ فاد معي.. إنه على معرفة جيدة بالأرض القديمة، سيكون عونًا لي، عونًا كبيرًا.. أرجو ألا يكون عائد في حاجة إليك.

ابتسم فاد بمرارة:

- لقد تخلى عن خدماتي منذ فترة، لم أكن له سوى مراقب فقط، إنه يقوم بكل شيء بنفسه.

ابتسم الأب:

- هذا مذهل للغاية، ستأتي معي إذًا..

لمس شعر ابنته القصير وقال كلامًا كثيرًا لم تهتم به والي.

كانت أظافرها الكبيرة تحفر في الأرض الحجرية، وتستخرج الصخور الصغيرة، وتضرب بها النافورة الراقصة مرة واحدة في العام والتي أصابها الترهل من كثرة الملال..

سألت نفسها:

- ما الذي تفعله هنا في هذا المكان؟

وكانت الإجابة:

- ما الذي تفعله في أي مكان؟

لقد بدا أن الجميع قد تخلى عنها حتى جميلا صديقتها الأبدية التي فقدت وسامتها منذ أن حملت طفلها في بطنها، كان بطنها كبيرًا جدًا وكأنه على وشك أن ينفجر في أي لحظة وأخرى الآن، وهو ما كان يحدو بوالي أن تجلس إلى جانبها.. وليس أمامها، فمن يعلم ما الذي حقنها به هذا العالم المخبول الذي تموت فيه ميلا عشقًا كالحمقاوات.

أطلقت سبة قذرة واستمرت تضرب النافورة بصخورها الصغيرة، كان الإيقاع الناجم عن الضرب يصيبها بنوع من السلوى، ليست وحدها من يتألم هنا..

نظرت إلى أسورتها وقدرت أنه تبقى أقل من نصف ساعة على خروج رامي من الاجتماع الأسبوعي للعصبة الحمراء ذات المعاصم السوداء.

لا تدري لم تنتظره كل أسبوع في هذا المكان، وكأنه عقاب أبدي لها يجب أن تقوم به، إنها تريده أن يكون صديقها فقط.. تحتاج إليه لتبثه ضعفها، ويبثها ضعفه، وإن بديا أمام الآخرين من الأقوياء.. ولكنه لم يكن ينظر إليها بهذه الطريقة، ربما ينظر إليها كعقاب أبدي لن يقدر على التخلص منه، كشوكة تدخل إلى حلقه وليس إلى جواره مشروب مذيب الأشواك ربما، ولكن على أحدهم أن يتحمل هذا، فمنذ رحيل والدها وفاد، وحمل جميلا صارت الحياة لا تحمل سوى رامي.

لقد استطاعت بكفاءة منقطعة النظير أن تتخلص من سايد صديق طفولتها الأول، وها هو يرفل الآن في نعيم تلك الفتاة الغبية التي اكتشفت رومانسيتها في وجوده، اللعنة وكأن كل أحلامها وأمانيها ترحل بعيدًا إلى

أشخاص لم يتمنوها حتمًا، وكأن وظيفتها في هذا العالم أن تحلم من أجل الآخرين، الذين يحصلون على أحلامها مجانًا..

صخرة كبيرة ضربت بها النافورة و....

اللعنـــــــة.

بـــانـــج.

تماثل الإيقاعان الغاضبان للفتاة والنافورة في لحظة زمنية مدهشة.

خرج رامي..

رأته من مكمنها ذاك، يخرج إلى الهواء بأكتافه العريضة وشعره الطويل الأشقر المصبوغ، يحتل المكان بجسده وقوته، وتسير خلفه فتاة ضاحكة ذات شعر أسود ثائر، تمد خطواتها لتلحق به من مكانها، خلفهما لا تسمع ما يقولان، ولا ترى سوى جسديهما المتجاورين فقط، إن دموعها الملحية تغطي حياتها، لقد بدأت تستطعم طعم الملح المتساقط، فصارت تتغذى عليه، وتعلمت أن تستخلص أكسجين الحياة منه كزعنفة ممتازة.

جزء آخر من أحلامها يرحل إلى أخرى. إذا كانت الحياة في هذا العالم بهذه القسوة فكيف هي على الأرض؟

لم يخبرهم فاد شيئًا عن هذا؛ لأنه من الممنوع أن تتحدث عن تلك الأمور الخرقاء، وتلوث بها أسماع أهل العالم الجديد المنعمين، الذين يطلقون على أنفسهم اسم: "الجيل المتطور"، بينما تخلوا عن لفظ إنسان... كيف يكون إنسانًا من يعيش تحت هذا الضغط الحقير من المياه والمشاعر المتطورة عن حياة الأسماك، إنهم كالعائشين في المكوك

الفضائي، هؤلاء الذين اختاروا السلبية كأسلوب حياة، وغادروا الأرض، ولم يصلوا إلى القمر أو المريخ..

لكم هم محظوظون إلى أن ينفجر بأحدهم المكوك!

عند تقاطع طريق ضربته الفتاة في كتفه بمرح وغادرت..

أكمل رامي سيره وهو يلوك تلك القطعة ذات الرائحة النفاذة.

سألته يومًا عنها، قال إنها قطعة لادنة مهربة من الأرض، منعت من الدخول إلى العالم الجديد لأنها تسبب الكسل، وضعف النشاط العقلي، لكنها لذيذة.

أعطاها يومًا قطعته الحلوة، تذوقت ومنذ تلك اللحظة تذوقت طعم شفتيه اللذيذ بصورة غير مباشرة.

إنها تحتفظ بها على حائطها الكبير الذي يضم صورها المتحركة، وكلما شعرت بالحزن تلوكها وتلوكها وتلوكها، وكأنها لا نهائية الحياة.. يمكن للعالم الجديد أن يختفي والأرض القديمة أن تدمر عن آخرها، وينفجر القمر ويشتعل المريخ، وتذوب الشمس ولا ينتهي طعم شفاهه من القطعة اللادنة المحرمة.

شعرت بأنه يبطئ خطواته، استمرت تسير حثيثًا خلفه دون أن تسرع، توقف فجأة.. كانت المسافة بينهما قريبة جدًا.. سألها:

- إلى متى ستتبعينني؟

قالت بهمس مالح:

- حتى تنتهي القطعة اللادنية التي أعطيتني إياها..

التفت إليها مبتسمًا، أكملت سيرها تجاهه، أمسك بيدها بقوة، قادها بسرعة إلى إحدى المحال التجارية الكبرى المضيئة بشدة، في الممر الذي تباع فيه المنظفات العطرة، وملح الاستحمام، ودهن الفقمة لإزالة التجاعيد.. وقفا أمام بعضهما بعضًا، قال بهدوء:

- لا تخافي.

انحنى برقة وقبل شفتيها المتوترة.. شعرت بالاشمئزاز في البداية، قد يتنقل إليها مرض ما، لماذا يقبلها كأرضي؟ لقد مُنعت هذه القبلة من العالم الجديد بسبب ما تنقله من أمراض فمية قد تؤدي إلى سرعة انتشار العدوى. كانت خائفة من المرض، ناهيك عن أن القبلة كانت غبية للغاية، لكنه كلما تعمق في فمها صمتت، ابتعد أخيرًا، لهثت طالبة للهواء، واكتشفت أنه ترك بفمها قطعة لادنية أخرى، لاكتها بسرور، أمسك بيدها وقادها خارجًا.

قالت وهي تسير إلى جواره:

- لماذا قبلتني؟

قال:

- أردت ان أجرب شيئًا أرضيًا آخر..

هتفت:

- قد نصاب بالعدوى.
- اللعنة على العدوى.. ألا يكفينا ما نحن فيه من أمراض، لنخاف من هذا أيضًا!
- هذه القطعة لذيذة للغاية.

نظر إليها وقال:

- لماذا لا تنضمين إلينا؟

قالت بهدوء خائف:

- تعرف بأنني أسعى إلى الحصول على رقم اختبار جيد!

هتف بعنف وهو يقبض على أصابعها:

- اللعنة، لأجل ماذا؟

قالت:

- لأجل ما ضاع من أحلامي إلى الآن..
- أما أنا فلن أسعى للحصول على رقم؛ للسبب نفسه، سأبحث عن طريق آخر.
- تعرف أن طريق التمرد ليس جيدًا..
- والكلام نفسه بالنسبة إلى العبودية، إنني أشعر بالحرية معهم، وكأنني بشري مرة أخرى.

هتفت ساخرة:

- مذهل.. يجب أن تشعر بالحرية مع هذه الفتاة الأرضية الضاحكة.

قال بهدوء:

- لا تبدأي الغيرة، إنها صديقتي، لم أقبلها حتى.

قالت:

- وهذه ليست ميزة إن أردت رأيي.

قال وهو ينظر إلى عينيها ويسيران باتجاه المحطة:

- اسمعي يا والي، لقد اخترت هذا الطريق، سواء أعجبكِ أم لا.

سحبت يدها منه وهتفت باكية:

- إنك تعجبني في أي طريق سرت، وأية فتاة أخرى اخترت، وأية حياة عشت.. إنني أكبر حمقاء على الإطلاق. لم أدرك أبدًا أن هناك مئات الطرق التي تفصل بيننا، وملايين الأشخاص الذين يقفون حائلًا إلى درجة أن الهواء يحتبس بينهم، فلا يصل إلينا.. سأظل حمقاء على الدوام.

أمسك بكتفها ودفعها باتجاه القطار المتوقف، جلسا في مقعدين متواجهين، جففت دموعها، أخذ ينظر إلى الأرض بحزن.

قال:

- لم أتعافَ بعد من الصدمة.

قالت:

- إن جميلا لم تكن لك من البداية.

قال بهدوء:

- كانت أقرب مما تتصورين، وأبعد مما تظنين.

قالت مبتسمة:

- إنه إحساسي تجاهك نفسه، إن الحياة تأخذ منك وتعطي لغيرك، لقد ابتليت بمشاعرك التي سلبتها منك الحياة..

قال:

- كيف هي الآن؟

- إنها جيدة، تحمل طفلًا من المتوقع أن يصل قريبًا.

- ألن تحصل على رقم اختبار؟

- سيمنحها عائد تأجيلًا.

- .....
- هل من الممكن أن تنساها يا رامي؟
- لا أعرف.. هل ستنسينني أنتِ؟
- سأفعل كل ما يجعلك بعقلي إلى الأبد.
- إذًا لن أنسى جميلا.
- .....

وصل القطار إلى العاصمة حيث تعيش والي، كان من المفترض أن تنزل ويفترقا، لكنه في هذه المرة الساحرة نزل برفقتها، ركبا مكوكًا ثنائيًا حتى منزلها، وبعد ثلاث ساعات، كان رامي يبكي في أحضانها على الأرضية الباردة، وقد أعطيا ظهرهما إلى السرير الكبير، وراقبا الصور المتحركة بجنون، قالت بهدوء:

- هل أقُل لك شيئًا؟

نظر إلى عينيها الخضراوين وقال:

- آه.
- أتريد أن تعرف سر زواج عائد بجميلا؟

* * * *

كان طعم العصير الذي قدمه عائد عند زيارة العالم فرح المصنوع من معجون الطماطم المهجن وراثيًا من العنب والطماطم والفراولة أشبه بتذوق فضلات سمكة الرنكة، وهو ما أصاب العالم فرح بغثيان رهيب فقد على إثره الشهية، تساءل كيف تتحمل ابنته تناول مثل هذه السوال، لا بد أنه يجبرها على ذلك.

كانت جميلا مضطجعة على الأريكة المصنوعة من الإسفنج الحفار الصحي والسميك، وبيدها كوب من المشروب المقزز، وقد رقدت والي إلى جوارها، وهي تتناول الجندوفلي المقرمش بصوت مزعج، بينما يعلن التلفاز آخر الأخبار المتعلقة بالعاصمة المركزية، سين المذيعة الفريدة تعلن أن الجزء الغربي من المحيط الهندي الذي يحده جبل الألفا من الناحية الشرقية، ليس صالحًا للاستعمار بسبب البراكين الخامدة التي من المتوقع أن تعلن عصيانها بعد ثلاثمائة يوم بالحساب الأرضي وكأن الجميع يهتمون بأي المناطق صالحة للسكنى.

تقول والي معقبة:

- لذا سيأخذون الجزء المتبقي من الأرض أ للبناء عليها مناطق جديدة..

تتنفس جميلا بعنف، وكأنها تحاول أن تأخذ ما يكفي من الهواء لها ولابنها الصغير وبطنها المنفوخ أيضًا، تقول والي بقلق:

- هل أنتِ جيدة؟ تبدين وكأنكِ على وشك الوضع الآن.

تقول جميلا وهي تبتسم بشحوب:

- أنا جيدة.

يأتي عائد من المطبخ، وبيده جهاز أبيض مشع، يقترب من زوجته يربت وجنتها الناعمة بشغف ويقول:

- سأقيس وضعكِ الآن..

يقرب منها الجهاز الذي يتوهج باللون الأزرق الحراري بسبب غازات الأيدروجين الحساسة التي تكونه، يقول لها بقلق:

- إن ضغطكِ منخفض.. هل أنتِ جيدة؟

تأخذ رشفة من المشروب وتقول:

- ربما بسبب الحرارة، هل من الممكن أن تقوم بتعديل درجة الحرارة! أخفضها قليلًا.

قال عائد بتوتر وهو يلقي نظرات مترددة اتجاه السقف:

- أظن أن المستشعر اللاسلكي الذي يقوم بقياس درجة حرارة الغرفة قد أصابه العطب، سأشتري آخر قريبًا.

قالت والي بدهشة:

- ميلا.. إنني أكاد أتجمد من البرودة، طفلك سيكون صاحب قوة خارقة.

يرمقها عائد بنظرة متوسلة تسكت على إثرها، تقضم الجندوفلي وتعطي قليلًا للعالم فرح الذي يأخذه منها هازًا إصبعه شاكرًا.

تقوم والي وتتجه إلى الحمام بخطى متراقصة على صوت الأنغام التي يبثها المحاكي بعدما انتهت الأخبار، يقترب الأب من رأس ابنته ويهمس لها متسائلًا:

- هل يعاملكِ عائد جيدًا؟

تهز رأسها بإيجاب. يقول:

- جيد.. وكيف ابنكِ؟

تتحسس بطنها وتقول:

- إنني أسمعه يتحرك دائمًا.

يضع العالم يده على يدها فوق بطنها ويقول:

- أمامك مسؤولية عظمى يا ميلا.

تتعلق بيد والدها بيأس:

- إنني خائفة يا أبي.

يربت وجنتها محاولًا المواساة، وإن كان في داخله يسبها، لاعنًا عقلها الغبي الذي تخير عائد دون الآخرين، لكنه لم يتوقع أبدًا أن تكون كأمها، ولا هو يتوقع من عائد أن يكون مثله. إن عائد يبدو متوهجًا توهجًا زائفًا كذرات غبارية تتعلق بالأشعة المضيئة، فتبدو بحقارتها وكأنها تتغذى على هذا التوهج..

جاءت والي من الممر تتراقص بخفة على قدمها اليمنى كدولفين في موسم التزاوج، تبدو مختلفة عن تلك الفتاة الطائشة التي اعتادها، إنها أكثر رقة وابتسامة غبية تعتلي وجهها بخفة، يبدو أن الحياة سلبتها من ابنته وألصقتها في وجه صديقتها، ترقص خطوات الفتاة على الأرضية المرمرية المصنوعة من "طرين جلوبيجرينا" المستخلصة من قيعان المحيطات، والتي تكونت عبر ملايين السنين من الأصداف الدقيقة، كانت الأرضية اللامعة تبدو شحيحة إلى جوار الضوء المشع من روح الأقدام الراقصة التي تطؤها بخفة.

يأتي عائد مسرعًا إلى حيث وقفت والي، يهمس إليها:

- هل يمكنكِ البقاء لفترة أطول مع جميلا؟ أرجوكِ.

تبتسم والي كإشعاع مفاجئ وتقول:

- لا يكن عندك شك، سأبقى حتى لو تجمدت من مكيف الهواء سأتحول إلى سبع بحر لأجلها.

يبتسم عائد، تذهب والي إلى حيث جميلا.. يقترب العالم فرح من مساعده، ويقول له:

- هل نتحدث في مكان آخر؟

يراقب عائد والي وهي تجلس إلى جوار زوجته المنتفخة ضاحكة، ثم يقول:

- أجل.

يدخلا إلى المطبخ، يغلق العالم الباب الحلزوني عليهما، فتنقطع الأسطورة التي كانت تقصها والي بمرح عنهما..

- إن ميلا واهنة جدًا، أرجو أنك تلاحظ ذلك!

يصمت عائد لبرهة، ينشغل في إغلاق النافذة السفلية لدولاب المطبخ الخشبي المدهون بلون أخضر غامق أقرب إلى اللون الذي يميز ظهور السلاحف عابرة الدوامات البحرية العظمى.

يقول عائد بهدوء:

- إنني أرعاها جيدًا.

- أعرف.. إن الخوف أوهن جلدها، تبدو كامرأة ماتت مرتين..

- سيدي... أعلم أنك غاضب مني ولك الحق في ذلك.

تجرع ماء من الزجاجة إلى جواره وقال:

- إن العالَم كله كان غاضبًا من شالومان عندما وضع خطة عالمنا الآن، لكنهم اتبعوه في النهاية.

- لا أعلم ما الذي ترمي إليه؟

نظر عائد إلى عيون فرح بقسوة وهتف:

- أرمي إلى أن الوقت في صالح العلم دائمًا، أليس هذا شعاركم النبيل في هيئة العلماء المتحدين في العاصمة؟ لقد انتهى وقت القرار، إنني بصدد خطوة مهمة للغاية ولا أريدها أن تفشل.

انفتح الباب بسرعة وهتفت والي:

- عائد تعال حالًا..

هرع عائد إلى جميلا التي كانت تتنفس بصعوبة للغاية، وبقوة ساعديه حملها وأسرع بها ناحية معمله، وأغلق الباب في وجه فرح المنذهل ووالي الباكية.

أوصل جهاز تنظيم ضربات القلب بعنقها، ووضع قناع الأكسجين على أنفها، وبدأ يستطلع بالمنظار ما يحدث داخلها.

كان الطفل سليمًا وآمنًا، إنه ينمو بشكل طبيعي للغاية، الطعام يصله بانتظام، ويبدو كطفل بريء عادي.. هل تجربته على وشك أن تفشل الآن؟

أوصل ميلا بمحلول يعزز من ضخ الدم في شرايينها، بدأت تتحسن، فتحت عينيها ثم غفت مجددًا.

بعد ساعة فتح عائد الباب، كانت والي جالسة أمام الغرفة وقد عقدت يديها على ركبتها بصمت جنائزي عندما فتح الباب هبت واقفة:

- هل ميلا وضعت طفلها؟

قال:

- ليس قبل خمسين يومًا على الأقل.. ماذا حدث؟

- لا أعرف.. كنا نتحدث عن امتحانات الحصول على أرقام الاختبارات عندما بدأت تتنفس بصعوبة وتغيب عن الوعي، لا أعلم ماذا حدث معها؟

تنهد عائد بتوتر.. سألت والي بتردد:

- أنا خائفة. أهي جيدة؟

قال بهدوء:

- أظن ذلك، لا تقلقي.. أين العالم فرح؟

- لقد.. لقد غادر غاضبًا.

- لا بأس، سأتحدث إليه لاحقًا.

- هل أبقى؟

- هل يمكنكِ ذلك؟

- بالطبع.

- حسنًا، جيد. إذا سمحتي.

جلست والي إلى رأس صديقتها الغافية.. كانت تنتفس برقة كطفل في المهد، تبدو بريئة للغاية وقد تناثر شعرها على الوسادة البيضاء، أمسكت والي بيدها، كان قلبها يدق بإيقاع غريب، وكأنها على وشك أن ترحل إلى الأبد، فكرت في اللقاء الذي قابلت فيه جميلا للمرة الأولى، فلم تستطع أن تحدد بدقة الفترة التي تعارفتا فيها، كانت ميلا من هذا النوع من الأشخاص الذين يبدون وكأنك قد ولدت وأنت تعرفهم مسبقًا..

كانت خائفة من الفقد وكأن ابتعاد ميلا سوف يكون خيانة للمبادئ التي عاشت طوال حياتها تتعلم ألا تشمئز منها، قلبها مسحوق كسمكة موسى رقيقة شفافة..

تشعر بالدموع تتراقص على طرف عينيها. طوال حياتها وهي تحاول أن تقلد تلك الصديقة، ربما هي لا تحب رامي في المقام الأول إلا بسبب أنه

كان يحب ميلا، لقد أخذت حقها في رامي، هل تشعر ميلا بأنها حصلت على حقها في عائد؟

تتمدد والي إلى جوار صديقتها التي تبدو وكأنها سمك البالون الذي ينفخ نفسه لدفع أعدائه عنه، ولكن الحقيقة هي أن طفلها هو الذي يحاول دفع نفسه خارجًا.. إن عائد أناني، إنه يقوم بكل شيء، يقوم بتطبيبها والاهتمام بها علميًا، ونفسيًا دون طلب تدخل من أحد حتى والدها نفسه، إنها تكره هذا الشاب العالم المخبول الذي قد يؤدي بمن تجعلها تعيش إلى الجحيم..

تمسك بذراعها بقوة وكأن الموت قد لا يتمكن من سحب ذراعها إلى جهته الأخرى الغامضة..

تفيق ميلا، تنظر إلى صديقتها النائمة إلى جوارها، تندهش، ثم تتذكر ما حدث لها، تبتسم إلى والي، تتحرك، فتستيقظ والي وتهتف:

- أنتِ جيدة؟ أأنادي عائد؟

- أنا جيدة حقًا، لا داعٍ إلى ذلك. يحدث لي كثيرًا.

تتنهد والي بنفاد صبر:

- إن عائد هذا وغد كبير، أنا أكرهه الآن..

تقول ميلا ببرود:

- لقد اخترت طريقي بملء إرادتي يا والي.. إنه ليس خطأه.

- لماذا أقدمتِ على هذا؟

- لأنني أحبه بالفعل.

- اللعنة على هذا.

- والي.. أنتِ تحبين رامي، وتعرفين ماذا أعني.

سكتت والي برهة ثم قالت:

- ألستِ غاضبة مني؟

أمسكت ميلا بكتف صديقتها وقالت:

- بل أنا سعيدة لأجلكِ.. لقد غيركِ رامي، كيف هو؟
- جيد.. نحن على وشك الدخول إلى امتحانات الحصول على رقم..
- أرجو لكما التوفيق والنجاح.
- وأنا أرجو أن يكون ابنكِ جيدًا. أوه! أنا سعيدة، أريد ان أراه على الفور.
- إذا كان عائد موجودًا لجعلكِ ترينه عبر شاشة المنظار، إنه صغير ولطيف.

تبسمت والي برقة. قالت ميلا:

- ألن تحصلي على طفلكِ يا والي؟

اختفت تعبيراتها المشرقة وقالت:

- أنا لست مستعدة بعد.

قالت ميلا:

- ورامي؟
- ربما ليس مستعدًا أيضًا. لم نتحدث في هذا الشأن على الإطلاق.
- والي.. هل يمكن أن أطلب منكِ معروفًا؟
- نعم.

- أخبري رامي ألا يذهب إلى حديقة النافورة الراقصة أبدًا. عديني بذلك، عديني ألا يذهب إلى هناك أبدًا!

* * * *

سيارته الآلية ذات المحرك العنيف الذي يحوي ثلاثة توربينات نشطة، وتأتي مع ناقل حركة مؤلف من تسع سرعات، موضة العام الماضي، التي أهداه إياها مركز العلوم التكنولوجي بمناسبة ترقيته إلى مساعد عام بالدرجة الأولى وفقًا للاختراع الأخير الذي أسهم في إنشائه، ويتعلق بتقليل درجة الحرارة في الأسقف الزجاجية التي تحمي العالم الجديد، فتسير بسرعتها الفائقة في طريقها السريع المخصص لامتصاص الألياف الكربونية التي يخرجها المحرك، كل شيء هنا خلق لأجله، لا شيء زائد ربما سوى الإنسان فقط.

تعتري العالم فرح نوبة جنونية تجعله ينقل سيارته إلى السرعة القصوى التي يسمح بها المحرك، كشاب طائش لم يحصل على رقم اختبار يسير بزهو وهمي عبر الشوارع المضيئة بنور اصطناعي وهاج يضاهي نور الشمس إذا كانت لا تزال على قيد الحياة.

في ذلك المطبخ الصغير الداكن ترقد عقاقير محكمة الغلق.

لقد قرأ فرح بوضوح على إحداها: "مضاد الميلاتومني".. إن عائد يتعاطى عقاقير مثبطة للخلايا السرطانية البشعة التي تنتشر في جسده، لا غرابة إذا كان يعمل في الوقت غير المسموح به، إن نشاطه قد تسبب له بالسرطان، يرجو ألا ينتقل إلى ابنته الغبية المنتفخة كإطارات سيارة متفحمة في إحدى الشناعات العظمى.

كيف ادعى عائد بأن يكون هو العنصر الإيجابي في العملية إن كان يعالج نفسه من السرطان! هو يعلم أن هذا المرض ليس خطيرًا مثل إصابتك بالجذام الطرفي، أو مرض الحنين الأرضي، ويمكن التعافي منه على أي حال، لكنه يخشى انتقاله عبر الخلايا الضوئية الحساسة إلى ابنته الواهنة.
ملايين الأفكار تتصارع خلف بعضها في عقله الشفاف، تكاد تنسيه طريق منزله الصحيح، ينحرف بسيارته في الوقت المناسب، أمام تمثال حجري كبير ترقد العمارة البيضاء التي تقف بشموخ على الأرضية الجرانيتية السوداء.
يهبط من سيارته، يصعد إلى شقته الخالية من الحياة، يبعث أنفاسه عبرها، وينتابه الألم.
كم مرة أحس بهذا الشعور المضني الذي اخترق أحشاءه كسيخ غدار مُحَمّى على لهب أخضر قوي! ربما لم يعد سليمًا على الإطلاق.
تلك الطرقة العنيفة التي تدق قلبه على غير موعد تكاد تكون مؤلمة بقدر البقاء حيًا بين أضلع أخطبوط عملاق أحمر سادي.. الرغبة في حدوث شيء ما، تغير ما، انهيار ما، أن يفلتك الأخطبوط للحظة واحدة فقط، لحظة واحدة تشعر فيها بلذة الحياة التي ستتركها خلفك.. فراغات سوداء خلفتها الحياة في قلب العالم فرح منذ رحيل زوجته، الألم؛ ذلك التعبير المبتذل عن شعوره والذي يطرق أسورته إلى الدرجة السادسة.
الدرجة السادسة فقط!
إن بداخله قدرًا عظيمًا يوزاي الأطلسي المعمور من الأسى والألم، إنه يدرك فقط أن مراكز التحكم الآلي التي تسيطر على الأساور الفضية التي

تمثل بطاقات الهوية للعالم الجديد ترغب في إظهاره بصورة جيدة، لأنه عالم حائز على رقم اختبار أول، لذا يجب ألا يتعدى أي شعور لديه الدرجات المسموح بها على المستوى العالمي الجديد، حياة مرسومة بيد غاشمة متغافلة.

في غرفته الدافئة يقبع إناء كبير ظل مغطى لفترة طويلة، كرجل يمشي على حبل ممتد رفيع أوله نار وآخره مقص حاد، اتجه فرح إلى الإناء الزجاجي الشفاف.

هنا ترقد روح معذبة أنهكها الحرمان، وغفلت عنها الحياة.

ترقد زهرة غرنوفية كبيرة ذات أوراق صفراء عظيمة تشبه شمسًا دافئة في يوم بارد، حوافها شعاع برتقالي جذاب..

تنام الزهرة بهدوء وسط بيئة مائية لطيفة امتلأت بفقاعات الأكسجين المتجمدة، ولا يحوي الإناء سمكة موسى نحيفة عمياء؛ لقد ماتت بموت صاحبتها التي تنام في بطن قرش عاشق..

يتلمس فرح الإناء بأطراف أصابعه متتبعًا تلك الحياة الصغيرة التي اعتادت الاهتمام بسمكة الموسى العمياء داخل الإناء، وإطعامها الدايتومات الخضراء الكروية.

يسمع صوتًا خفيفًا؛ إنه صوت التابلت الخاص به.

يتجه إليه يمسك به وفي الوقت ذاته يقف بالقرب من الإناء الخالي من الأسماك العمياء، تصله الرسالة المنشودة..

"لقد تم تأكيد الطرد، سيصل خلال عشرين يومًا من الآن.. وهاكم الصورة المنشودة"

فتاة شامخة لها وجنتان حادتان، وعينان ذكيتان ونهدان رائعان تقف بجمود أمامه، لا تحرك ساكنًا.. كأنها لا تتنفس على الإطلاق، أو كأنها ضنت بأنفاسها عندما التقطت لها الصورة، تتحدى العالم الجديد بقوانينها التي جاءت بها.

يبتسم فرح بلهفة من عاد إليه من الموت؛ كانت زوجته بشحمها ولحمها تقف أمامه بانتظار القدوم من العالم الآخر.

تقبض أصابعه الخمسة على الإناء الزجاجي، ويتحرك فجأة وقد نسي أصابعه على الزجاج الذي يسقط على الأرض المرمرية متهشمًا، تنفجر فقاعات الأكسجين، وتلحق الوردة الصفراء بسمكة الموسى العمياء.. اللعينة.

* * * *

يضحك رامي بينما تنفجر والي من الضحك بهستيرية، طاغية على ضوضاء المطعم الأزيزية، وطاغية على قواعد الاحترام العامة. لحسن الحظ المطعم خالٍ في ذلك الوقت إلا منهما والسقاة المرتدين الزي الأصفر الشهير بعلامة المطعم المسجلة، نظروا إليهما في عدم اهتمام وأكملوا شرب حساء الكوبيبودا الحار الذي يشتهر به المطعم اللذيذ.

قالت والي:

- أحقًا فعلت ذلك؟ كتبت هذا؟

هتف رامي:

- تعرفين أنني لا أنوي الحصول على رقم اختبار، سأرسب، أنا مستعد لهذا..

قالت والي وعينيها مشعة من حرارة الكوبيبودا، وحرارة بقائهما معًا:

- لا أصدق أنني أجلس مع أفضل لاعب للكرة الطائرة، الذي لم يخسر مرة..

قال وهو يحتسي الأسى بجرعة واحدة:

- هذه المرة أنا مستعد للخسارة..

قالت تضحك:

- أريد أن أرى وجه لجنة التحكيم عندما يقرأون كلمتك "كيف أصف التاريخ بصدق والـ..."

- "والحاضر مزيف.." نعم هذا ما قلتُه، لا أعلم.. أشعر بالتحرر.

تهتف والي:

- التحرر! لقد اخترقت القوانين الكبرى على الإطلاق.. ما هذه الإجابة العظيمة؟

قال بهدوء:

- ليست عظمتها إلا في مقدار ما تحويه من حقائق، أكره ذلك ولكن عليهم اللعنة كلهم.

قالت والي ناظرة إلى إناء الماء الدافئ إلى جوار يده اليمنى:

- أنا معجبة بك للغاية.

ابتسم راضيًا، سألها:

- ماذا فعلتِ أنتِ؟

هزت كتفيها:

- لقد كنت جيدة.. سأحصل على رقم اختباري قريبًا جدًا.

لمس يدها المبللة بالعرق وقال:

- أرجو لكِ التوفيق بصدق.

كانت الضوضاء الأزيزية مقصودة في هذا المطعم لإشاعة جو نفسي يناسب الطعام الحار الذي يقدمه هذا المطعم.. تعتمد مثل هذه المطاعم على تقنية التلاعب بالحرارة والبيئة الصوتية لإيهام المريد عن طريق التلاعب بنفسيته وجعله يتقبل تلك الأطعمة البحرية الحريفة؛ لكن المطعم لم ينجح حقًا، لم ينجح في سلب ذلك الإحساس ببرودة الخوف من أن يتسرب إلى قلب والي، أرادت أن تقدم قلبها على كفها ليمسكه بيده القوية المتينة التي تتشبث بيدها.

- أطلس.. أطلس.

حنجرة ناعمة اندفعت تنادي برقة.

انطلقت فتاة ذات شعر متمرد يحد تمرده المثير طوقًا أحمر ناريًا، ويحيط عنقها الأهيف طوقًا معدنيًا له لون وردي مشع يعمل على تنظيم ضربات قلبها، إنه البديل المثالي لانعدام النوبات القلبية في العالم الجديد، اقتربت بهدوء تجاه طاولتهما..

تحولت البرودة في قلب والي إلى صقيع وهي تراه يبعد يده عنها ويلتفت بكليته إلى الفاتنة التي أمامه، ويبتسم محييًا بحرارة.

- كيف عرفتِ مكاني؟

تجلس إلى جواره في مقابلة والي، تبتسم إلى والي برقة وتدق الجرس منادية العامل، يأتي ملبيًا، تطلب مياها دافئة وحساء محار حار.

تقول لرامي:

- كنت أعرف أنك ستذهب إلى الامتحان اليوم.. لقد كنت هناك أيضًا.

قال رامي:

- ماذا فعلتِ؟

ابتسمت بخبث:

- إنه سر.

يأتي الحساء فترتشفه بتلذذ، يقول رامي ناظرًا إلى والي:

- هذه والي صديقتي، والي هذه ياء.

قالت والي:

- لقد أطلقتِ على رامي اسم أطلس، لماذا؟

نظرت ياء إلى رامي وهتفت بخبث:

- اسمك رامي إذًا..

يبدو رامي قلقًا، تضيف:

- لن أخبر أحدًا لا تقلق.

تقول والي بعصبية:

- ما الذي يجري هنا؟

تنظر ياء إلى رامي بصمت وتكمل طعامها، تهم والي بالنهوض، يقول رامي:

- إن أطلس مشتق من المحيط الأطلسي المعمور.. سمي أطلس لأنهم يعتقدون بأن إلهًا اسمه أطلس كان يحمل المحيط على كتفيه.

قالت ياء مصححة بصوت منخفض:

- يحمل السماء وينظر إلى المحيط.

اعوجت والي في مقعدها، نظرت إلى رامي، ورأت المحيط يفصل بينهما، لقد اختفى التوهج الأحمر لدى سمكة الرنكة، وتحول إلى اللون الرمادي إعلانًا لقرب موتها، قامت بهدوء من مقعدها، وقالت برقة:

- استمتعا بوجبتكما، لدي امتحان آخر..

نظرت إلى عيني رامي الضعيفة المتوسلة بقسوة وقالت ببرود ثلجي:

- وعليّ اجتيازه بنجاح.

نظرت إلى ياء وقالت:

- سعدت بلقائكِ.

أكملت الفتاة وجبتها بهدوء، التفت رامي بعد برهة وهتف بصوت عال:

- والي.

* * * *

نائمة كحياة غير مكتشفة على سطح المريخ تحلم بالوجود، الحلم خطير للغاية وخاصة إذا حاولت أن تمارسه على أرض الواقع، لكن العالم الجديد يقنن الحلم ولا يعترف بالحالمين.. للأحلام قانون تجبرك الأسورة المضيئة على اتباعه، لا تحلم بالأرض القديمة، أو الشمس، أو إنهاء نظام العالم الجديد السياسي، لا تفكر سوى في حياتك، وحياتك فقط.. انتبه لهذا.

لكن النوم لا يعرف قوانين الحياة، إنه أقرب إلى لحظة فناء غير خالدة، حيوان محنط غير مكتمل، وعقل سأم القوانين الوجودية كافة.

عقل جميلا النائمة يعمل بنشاط محموم، صور تتابع في نومها يخترعها شيء شيطاني يتحرك بجوفها.

شمس تحترق، ومياه تغلي، وقمر غير كامل الاستدارة، حياة عبثية لم ترها من قبل، وفيها تقف أمها بثياب مهلهلة تضحك لوالدها بجنون.. تهتف جميلا:

- عائد أرجوك! أرجوك أخرج آخر قطع السمك من المجمد حتى لا تذوب.

تتوقف يدا عائد عن العمل لبرهة أمام شاشته التي تعرض خيوطًا طويلة تتراص فوقها قواقع بحرية طازجة.

تقول جميلا:

- يا عائد، السمك دخل إلى جوف القواقع البحرية، لن يموت أبدًا..

يهتف عائد:

- إنه الحقيقة المطلقة في عالم يكتنفه الذهول، إنه ابني.

تربت ميلا على ظهرها، وتشعر بآلاف المشاعل تكوي عمودها الفقري الذي يتلوى من الألم كثعبان بحري تالف.

يقول والدها:

- في المرة القادمة لا تتزوجي بعالم.

تهتف والي:

- إنني أحببت عائد طوال حياتي، خذي رامي إن شئتِ.

يتحول عمودها الفقري إلى ثعبانين كبيرين يلتفان حول رقبة والدها ووالي، تختنق والي ويتحول وجهها إلى اللون البنفسجي، ثم إلى سمكة رنكة رمادية بشعة ميتة.. تبكي ميلا وتطلب من والدها ألا يقتل أعز صديقاتها.

يشير والدها إلى بطنها المنتفخ ويقول بهدوء:

- اقتليها أنتِ إذًا.

تحمي ميلا بطنها وتهرب، تهمس لوالي داخل بطنها:

- لن يصلوا إليك..

شاب طويل القامة يرتدي طوقًا أحمر، يقترب منهما، تقول جميلا له برقة:

- اعتنِ بوالي.

لا يبدو الشاب كأنه قد فهم ما تقول، ينادي رامي باسم غريب، رامي يرتدي طوقًا أحمر ويقول:

- ستندمين، سأجعل عائد يندم.

تقترب جميلا منه وتخلع عنه طوقه الأحمر بعصبية وتهتف في وجهه:

- لا تكن سخيفًا، سأنجب طفلًا.

ينحني رامي على بطنها ويهتف:

- إنه كبير..

يضحك الشاب الطويل الأسمر، ويعقب:

- سيكون غبيًا، غبيًا.

تصرخ جميلا:

- بل ذكيًا كوالدي، كعائد..

يضحك رامي:

- إنه كبير، هاه! وغبي. إنني أرى رأسه.

تقول والي مولية ظهرها:

- اتركوه لحاله، إن ظل لفترة أطول لا شك سيكون غبيًا للغاية.

يقول والدها وهو يهرع إليها:

- إنه لن يحصل على رقم اختبار حتى! اللعنة.

تصرخ جميلا:

- أخرجوه من بطني، أخرجوا هذا الشيء حالًا.

يقترب عائد بلهفة، تمسك ذراعيه بقسوة وتقول:

- أخرجه من بطني بسرعة، سأموت بسبب هذا الشيء.

يطالبها عائد بالهدوء، يقول:

- انتظري..

تصرخ بهستيريا:

- أخرج هذا الشيء من بطني.

والدها يحاول تهدئتها، تمسك والي يدها باكية، رامي والشاب الأسمر اختفيا في كومة من الدخان، وقطرات من المياه الصفراء المتوهجة قذفت بها النافورة الراقصة الجميلة، ثم اشتعلت.

تصرخ جميلا، تنادي والي حتى تلحق برامي وتطلب إليه ألا يدخل الممر المعتم مرة أخرى، تبكي والي.

آلة عظيمة بيضاء لها أصابع ماهرة، تعالج جميلا من الأسفل، تشعر بأن شيطانًا يحاول جذبها إلى أعماق الجحيم؛ فتصرخ بجنون كفتاة أرضية تجرى لها عملية دون مخدر..

يندفع شيء ما كدولفين حبيس من معدتها، تشعر برغبة عظيمة في التقيؤ، لكنها تحبس نفسها، تهتف والي:

- إنه مذهل للغاية.

يقول العالم فرح:

- فعلًا.

عائد يقول لجميلا:

- إنه ليس وهمًا، إنه ليس حلمًا.

تفتح جميلا عينيها ببطء، تعود الحياة إلى نظامها البطيء السابق، الجميع متحلق حولها وكأنها وجبة عظيمة من الغباء.

تحاول أن تعتدل، بينما تعمل الآلة البيضاء على شفط المشيمة وتنظيف معدتها من بقايا الحمل، تعود بطنها مسطحة كما كانت في السابق، الدماء تغطي كل شيء، حتى ذلك الصغير الذي يقبع بين أصابع العالم فرح.

يقول عائد:

- إنه ليس وهمًا يا ميلا.

يقترب منها والدها، ويقرب منها الطفل الصغير، تنظر إليه، يفتح عينيه الصغيرة ويبادلها النظر متسائلًا بصمت واهم عن سر وجوده في هذا العالم.

* * * *

يتبع...